



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين



التصوف الإسلامي و الرهبنة (دراسة مقارنة)

مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس
في العلوم الإسلامية - تخصص: عقيدة و مقارنة أديان

إشراف الاستاذ:

إسماعيل عريف

إعداد الطالبات:

✓ حنان خنوفة

✓ حنان مليك

✓ نصيرة لعويني

السنة الجامعية: 1437-1438 هـ / 2016-2017 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

نحمد الله الذي وفقنا في مشوارنا هذا نشكره و نستعين به، نهدي ثمار دراستنا هذه

إلى من قال الله فيهما ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ ﴿٢٣﴾

و إلى الإخوة والأخوات

و إلى الصديقات و الأساتذة

و إلى الأستاذ المشرف جزاه الله عنا كل خير

و إلى جميع الطلبة و الطالبات بمعهدنا معهد العلوم الإسلامية في جامعة الشهيد حمه

لخضر - الوادي -

إهداء خاص

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريمن و إلى إخوتي موسى وعبد الحفيظ و إلى أختي
تقوى

خاصة لمن يصفون لي الطريق ويساندوني و يتنازلون عن حقوقهم لإرضائي و العيش في هناء إلى
الغالين مُحَمَّد العيد و أبو بكر و إلى جدتي الغالية فاطمة الزهراء والتي كانت على الدوام تشجعني
لأكمل دراستي و إلى زوجي مُحَمَّد العيد و إلى أهله كل واحد باسمه خاصة عبد المهيمن و إلى
خالي العربي و إلى خالتي رشيدة و إلى عمتي خديجة و إلى جارتنا فتيحة و إلى بناتها كل واحدة
باسمها خاصة مروة و إلى صديقة دربي جوته و إلى كل من سأل عني وساهم في تشجعي طوال
مشواري الدارسي

شكر و عرفان

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

الحمد لله تعالى الذي أوصلنا إلى ما وصلنا إليه و نشكره لأنه زرع فينا معنى الصبر عند الشدائد و جعل لنا من كل ضيق مخرجا خلال مسيرتنا العلمية و وفقنا لإتمام دراستنا المتواضعة فألف حمد و ألف شكر له .

كما نتوجه بالشكر و العرفان و عظيم الإمتنان إلى من أضاء بعلمه عقل غيره و هدى بالجواب الصحيح حيرة سائله فأظهر بسماحته تواضع العلماء و برحابته سماحة العارفين للأستاذ الفاضل " إسماعيل عريف " على إشرافه على دراستنا و على مساندته لنا بالنصح و الإرشاد فجزاه الله عنا كل الخير و نفع به الإسلام و المسلمين.

كما يسعدنا أن نتقدم بالشكر لأساتذتنا الأفاضل العاملين بمعهد العلوم الإسلامية - جامعة حمه لخضر بالوادي - و إلى زملائنا من الطلبة و الطالبات تخصص عقيدة و مقارنة الأديان السنة الثالثة

و إلى كل من كان لنا عوناً ولو حتى بدعاء أو كلمة .

فجزاكم الله عنا كل الجزاء و الثواب

ملخص الدراسة:

يتفق كل من التصوف الإسلامي و الرهينة في العديد من المفاهيم في كونهما يميلان أعلى درجات الخلوة و العبادة إلا أن هذا لا يمنع إختلافهما في بعض المبادئ و المعتقدات و التصوف مصطلح يعرف عند المسلمين خاصة ، أمّا الرهينة فهي تقتصر على المسيحيين خاصة، و من هنا نستنتج أن التصوف الإسلامي و الرهينة وجهان ذا عملة واحدة يصبان في قالب التّعبد و التّسك.

Study Summary:

Islamic Sufism and monasticism agree in many concepts in that they carry the highest dergrees of privacy and worship, but this does not perent their differences in some principles and beliefs. Sufism is a term known to Muslims, especially monasticism is limited to Christians in particular. Islamic and monasticism are tow sides of one coin that are molded in the form of worship and tusk.

المقدمة

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي هدانا و الذي لولا هديه ما كنا لنهتدي لهذا فله الحمد و له المنة و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين الرحمة المهداة و النعمة المسداة مُحَمَّد بن عبد الله و على آله و صحابته و التابعين و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

إنَّ النفس الإنسانية ترغب أحيانا في الصمت و التأمل المختلي و تارة أخرى ترغب في الإفلات والهروب من تهافت و تراكض الزمان و العالم المدوخ، و لهذا لجأ الانسان إلى الزهد في الدنيا وذلك بالابتعاد عن ملذات الحياة الدنيوية و الإنعزال عن الناس، و الناظر في التجربة الإنسانية على الارض يدرك مدى حاجة الإنسان إلى تحقيق التوازن في متطلبات كل من جسده و روحه، و مدى ضرورة أن يكون هذا التوازن بلا إفراط أو تفريط، خاصة بعد أن هيمنت المادة على الإنسان و انحطت القيم الأخلاقية في هذا العالم و إنتشرت الأهواء و النحل و الصراعات الأيدولوجية حول السلطة و تهافت الناس حول المكاسب الدنيوية بشكل غريب، لم يجد الإنسان اليوم أمامه من حل سوى الإرتقاء في أحضان الممارسة العرفانية قصد الحصول على السعادة الوجدانية و الراحة النفسية بالصفاء النوراني والإحتماء بالحضرة الربانية وصالا وبقاءً، فالإنسانية حين انحرفت عن شرع الله و وحيه ظلت الطريق وحادت عن الصراط المستقيم و وضعت مبادئ و قوانين للغرائز الإنسانية تتفق و أهواء البشر، سواء ذلك من انحرف من المسلمين أو من اهل الكتاب (اليهود والنصارى) و حرم على نفسه طيبات الله أو من ضل من الوثنيين و المشركين و أطلق لشهواته و غرائزه العنان بدون حد أو قيد، و هذا ما أدى إلى نزعة بعض الطوائف المنسوبة لهذه الأديان سواء كانت من الأديان السماوية أو الأديان الوضعية إلى إتخاذ منهج و طريق جديد تمثل في تحريم طيبات الله و تعذيب النفس واحتقارها وحرمانها من أنعم الله، و تعطيل القوى الإنسانية بواسطة التقشف و الزهد المبالغ فيه و العيش في الفقر والتمسك به و بالتبتل و الخلوة بعيدا عن الناس، و هذا بهدف الوصول إلى الحقيقة التي تجعل الإنسان في راحة بال ذات السكينة و الهدوء فيتمكن بذلك من إدراك الحقيقة الإلهية التي جعله الله عليها و يصل إلى الله من دون خوف أو زعزعة في نفسه و هذا بعد ترويضها، وقد أطلق العلماء المسلمين على هذا الطريق تسمية " التصوف الإسلامي"، كما أطلق علماء المسيحية على الطريق

المقدمة

الذي سلكه نساكهم: "الرهبنة أو الحياة الرهبانية"، و نحن في إطار دراستنا هذه المعنونة ب:
- التصوف الإسلامي و الرهبنة دراسة مقارنة- ، سنحاول أن نبين و نطرح جل ما يتعلق بها، و هذا
من خلال بيان معنى كل منهما و كيف نشأ و ظهرها و تطورا عند أتباع الديانتين و ذكر العقائد
و الأفكار و الأسس التي شملتها كل واحدة منهما.

وتمكن أهمية هذا الموضوع في:

- أنه يعد من أهم المواضيع المطروحة في هذا العصر و التي تدور حولها العديد من الخلافات
و النقاشات.

- أنه يوضح المبادئ و الأسس التي بني عليها كل من التصوف الإسلامي و الرهبنة و مدى تأثير كل
منهما على ما ينتميان إليه.

- أن التصوف الإسلامي يعتبر من أهم المباحث الحديثة التي أثرت على الفكر الإسلامي مثل علم
الكلام و الفلسفة إضافة إلى الرهبنة التي أثارت جدلا كبيرا في أوساط الكنيسة و الفكر المسيحي.

والتي من خلالها نتوصل إلى طرح الإشكالية التالية: إلى اي حد يمكن التفريق بين التصوف الإسلامي
و الرهبنة؟ و تندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية جملة من الأسئلة الفرعية و التي نجملها فيما يلي:

ما هو التصوف الإسلامي؟ و ما هي الرهبنة؟ و ما هي المواضيع التي تمحورا حولها؟ و ما هي
مصادرها و أبعادها المنهجية؟

و قد دفعتنا لإختيار هذا الموضوع و دراسته أسباب تمازجت بين ذاتية و موضوعية:

فأما الأسباب الذاتية فتتمثل في:

- تماشي موضوع بحثنا هذا مع تخصصنا العلمي و الذي هو تخصص العقيدة و مقارنة الأديان.
- الفضول الذي تملكنا للخوض في دراسة موضوع البحث إضافة إلى حب الإطلاع و زيادة
التحصيل المعرفي.

المقدمة

وأما الموضوعية فتتمحور حول:

- التعريف بهذا الموضوع و إعطاء فكرة عامة عن ما إحتواه و شمله من معتقدات وأسس وغيرها وبيان مفهوم كل من التصوف الإسلامي و الرهينة على حده و الأصل الذي أستمدت منه.
- التعرض لنقاط الإختلاف و التقارب للموضوع و ذلك لبيان أوجه هذه العلاقة .
- غياب الدراسة المقارنة و التي تتعلق بهذا الموضوع من طرف زملاءنا الباحثين .

من خلال بحثنا و في حدود إطلاعنا لم نجد دراسات سابقة جمعت بين كل من التصوف الإسلامي والرهبنة و لذا سوف نذكر دراسات سابقة لكل منهما على حده:

فيما يتعلق بالتصوف الإسلامي دراسة "أبو الخير تراسون بعنوان التصوف الإسلامي في القرنين الثاني و الثالث الهجريين و موقف الفقهاء الأربعة منه" و هي أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، والتي تطرق فيها إلى بيان مفهوم و نشأة التصوف و مصدره و أثره و كل ما تعلق به و من ثم إلى طرح آراء الفقهاء الأربعة فيه، و قد أفادتنا هذه الأطروحة في دراستنا كثيرا.

أما فيما يتعلق بالرهبنة فلدينا كتاب الرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها لأحمد علي عجيبة والذي تطرق فيه في بيان ماهية الرهبنة و كل ما تعلق بها، و الذي أفادنا بدوره بالكثير في دراستنا هذه.

وقد إعتمدنا في دراستنا هذه على عدة مصادر ومراجع منها ما هو متعلق بالتصوف الإسلامي ومنها ما هو متعلق بالرهبنة:

أما تعلق بالتصوف الإسلامي فقد إعتمدنا بشكل كبير على كتابين و هما : كتاب اللمع في التصوف لأبو نصر السراج الطوسي و كتاب الرسالة القشيرية لأبو القاسم القشيري و هذا لما لهما من أهمية في التصوف.

وأما ما تعلق بالرهبنة فقد إعتمدنا على كتاب الرهبنة لمارمينا لأنه إحتوى على معلومات أفدتنا كثيرا في دراستنا.

المقدمة

نفيد هنا إلى: أنه هناك مصادر و مراجع أخرى قد إطلاعنا عليها ولكن لم نعتمدها وهذا بسبب اتفاق و تداخل المادة العلمية الموجودة فيها مع ما تطرقنا له في مصادرنا و مراجعنا و التي كانت دراستها أشمل و أعم لمواضيع دراستنا و هذا فيما يخص التصوف و التي نذكر منها:

كتاب الفتوحات المكية لابن عربي و كتاب الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية بجزئيه الأول والثاني و كتاب الطبقات الكبرى الشعراي و كتاب عوارف المعارف لسهروردي و غيرها.

أما الرهينة فقد إطلاعنا على مجموعة من الكتب و التي لم نعد منها في دراستنا و التي نذكر منها :

كتاب فردوس الآباء للرهبان بيريه شيهيت و كتاب بدعة الرهينة لحنين عبد المسيح و كتاب ربانية لا رهبانية لأبو الحسن الندوي.

و الأهداف المسطرة من هذه الدراسة التالي:

- عرض المفاهيم و التصورات الخاصة بكل من التصوف الإسلامي والرهينة بهدف إزالة الغموض القائم حولهما.

- أن تكون دراستنا هذه ذات فائدة تعود على كل من يريد الاطلاع على التصوف الإسلامي والرهينة و فهم معانيهما .

و من الصعوبات التي واجهتنا:

- إنّ العمق الفكري و الغموض الموجود في مصطلحات كل من التصوف الإسلامي و الرهينة شكل علينا صعوبة في فهم بعض ما تعلق بالمادة العلمية.

- التداخل الموجود في المادة العلمية لما إعتدنا عليه من المصادر و المراجع و الخاصة بكل من التصوف الإسلامي و الرهينة مما إستلزمنا الوقت الطويل لإختيار الأفضل بينها فيما يفيدنا في دراستنا و بحثنا.

المقدمة

و فيما يخص المنهج قد سلكنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي الاستقرائي إضافة الى المنهج المقارن:

أما المنهج الوصفي: فقد استعملناه في بيان الأفكار و العقائد و بيان كل ما تعلق بمحتوى دراستنا و الإستقرائي: فقد إعتدنا عليه في قراءة و طرح أوجه الآراء لكل من التعريفات الخاصة بدراستنا

أما بالنسبة للمنهج المقارن: فقد استعملناه لأجل إستخلاص نتائج ما تعرضنا له في دراستنا للخروج بملخص للموضوع الذي درسناه.

و للإجابة عن الإشكالية المطروحة سابقا، قسمنا بحثنا هذا إلى مبحثين مع مقدمة وخاتمة : فأما المقدمة: فقد مهدنا فيها لموضوع دراستنا كما ذكرنا فيها الأهمية و الإشكالية الرئيسية وما إندرج عنها من الأسئلة الفرعية و أسباب إختيار الموضوع إضافة إلى الدراسات السابقة و ما خلصنا له من أهداف و ما تعرضنا من الصعوبات و إلى أهم المصادر و المراجع التي إعتدنا لنختتمها في الأخير بالمنهج المتبع في دراستنا مع شرح الخطة التي إعتدنا عليها.

و أما المبحث الأول: فهو بعنوان التصوف الإسلامي و المتضمن على ستة مطالب بيننا في كل واحد منها جانبا من جوانبه.

و أما المبحث الثاني: فهو بعنوان الرهبة و الذي بدوره يتضمن على ستة مطالب بيننا فيها كذلك جانبا من جوانبها. كما أرفقنا كل مبحث بملخص خاصة به.

أما الخاتمة: فقد بيننا فيها أوجه الشبه و أوجه الإختلاف بين التصوف الإسلامي و الرهبة، كما ذكرنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة.

المقدمة

المبحث الأول: التّصوّف الإسلامي

المطلب الأول: أصل كلمة التصوف و بدء ظهوره كمصطلح

المطلب الثاني : تعريف التّصوف

المطلب الثالث: نشأة التصوف الإسلامي

المطلب الرابع: أهم المعتقدات و الشخصيات الصوفية

المطلب الخامس : المدارس و الطرق الصوفية

المطلب السادس : آثار التصوف الإسلامي و موقف بعض العلماء من التصوف ومدارس

البحث فيه

المبحث الأول: التصوف الإسلامي

تمهيد:

التصوف حركة دينية إنتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري تدعو إلى الزهد وشدة العبادة فهو يعبر عن شوق الروح إلى التطهر، و رغبتها في الإستعلاء وسعيها الدائم إلى تحقيق مستويات عليا من الصفاء الروحي و الكمال الأخلاقي، و يعد مبحثنا من أهم المباحث التي يستند إليها الفكر الإسلامي و التي أثرت فيه.

المطلب الأول: أصل كلمة التصوف و بدء ظهوره كمصطلح

الفرع الأول: أصل كلمة التصوف

لم تتفق كلمة العلماء على الأصل الذي أشتقت منه هذه الكلمة و ظلت أقوالهم متباينة في هذا حيث وجدوا صعوبة في أن يحددوا مصدرا معيناً لها "التصوف أو الصوفي أو الصوفية" حتى الذين ينتسبون لها وجدوا هذه الصعوبة، و عند البحث وجدنا أن لهذه الكلمة عدة إشتقاقات وآراء جاءت لمحاولة بيان أصلها، و نحن بصدد هذا نورد هذه الآراء على التوالي:

- **الرأي الأول:** يقول أصحابه أن أصل هذه الكلمة منسوب إلى "الصّفَاء" قال الكلاباذي*: "إنّما سميت الصوفية "صُوفية" لصفاء أسرارها و نقاء أثرها و قال بشر بن الحارث**:"الصُوفي من صفا قلبه لله"، و قال بعضهم: "الصُوفي من صُفِّتْ لله معاملته، فصُفِّتْ له من الله عزّ و جل كرامته"¹.

* هو الإمام الصوفي أبو بكر بن إسحاق البخاري الكلاباذي المولود سنة 223 هـ صاحب كتاب " التعرف لمذهب أهل التصوف"، الحافظ الأوحى المتوفى سنة 380 هـ، (سير أعلام النبلاء للذهبي).

** هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمان بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله الحافي أصله من " مرو " من قرية " بكرد أومابرسام" سكن بغداد و مات بها كان عالما و ورعا توفي يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة 227 هـ، (الطبقات الصوفية للسلمي).

¹ - الكلاباذي: التعرف لمذهب أهل التصوف، (ط: 2، مكتبة القاهرة الخانجي، 1415 هـ - 1994 م)، ص 5.

و قال الطوسي* في كتابه اللمع في التصوف: "و سئل أبو الحسن القناد رحمه الله تعالى عن معنى الصوفي فقال: مأخوذ من الصّفَاء و هو القيام لله عزّ و جل في كل وقت بشرط الوفاء"¹.

- **الرأي الثاني:** يرى أصحابه أن كلمة التصوف منسوبة إلى لفظة "صُوفَة" و هو اسم رجل قد انفرد بخدمة الله عزّ و جل عند بيته الحرام اسمه "الغوث بن مرّ" أطلقت عليه هذه التسمية لأن أمه نذرت لئن رزقها الله بولد لتعلّقن برأسه "صُوفَة" و لتجعلنه يربط الكعبة، ففعلت، فقيل له: "صُوفَة" كما أنها نسبت لبنيه من بعده، فانتسب إليه قوم من الجاهلية فسّموا "صُوفية" و قد إنقطعوا إلى الله سبحانه و تعالى للعبادة في المسجد الحرام، فمن تشبه بهم فهم "الصُوفية"، كما يقال لهم "صُوفَة و صُوفَان"².

- **الرأي الثالث:** يرى أصحابه أن هذه الكلمة منسوبة إلى "أهل الصّفة" الذين يقعدون في مؤخرة مسجد المدينة رسول الله ﷺ، يقول السهروردي** : إن الصفة: "قد إجتمعوا بمسجد المدينة كما يجتمع الصوفية قديما و حديثا في الزاويا و الربط لا يرجعون إلى زرع و لا إلى ضرع و لا إلى تجارة و كان رسول الله ﷺ يحث الناس على مواساتهم، و يجالسهم و يأكل معهم"³. قال الطوسي في كتابه اللمع في التصوف: و قد قيل: "إن الصوفية هم من بقايا أهل الصّفة"⁴. قال الكلاباذي في

* هو أبو نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي الملقب ب" طاووس الفقراء" المتوفى سنة 378 هـ الصوفي الزاهد صاحب كتاب " اللمع في التصوف"، (اللمع في التصوف للطوسي)

¹ - الطوسي: اللمع في التصوف، تحق: عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور، (د.ط، دار الكتب الحديثة بمصر و مكتبة المثني ببغداد، 1380 هـ - 1960 م)، ص 46.

² - ابن الجوزي: تلبيس إبليس، (د.ط، دار القلم بيروت - لبنان، 1403 هـ)، ص 156، 157.

** هو شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي، الشيخ الإمام العالم القدوة الزاهد العارف المحدث شيخ الإسلام أوجد الصوفية صاحب كتاب "عوارف المعارف" ولد في رجب 539 هـ و توفي ببغداد سنة 632 هـ ، (سير أعلام النبلاء للذهبي).

³ - أبو الخير تراسون: التصوف في القرنين الثاني والثالث الهجريين وموقف الفقهاء الأربعة منه، (رسالة دكتوراه، غير منشورة قسم العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1423 هـ - 2002 م)، ص 4.

⁴ - الطوسي، المصدر السابق، ص 47.

كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف:" و قال قوم إنّما سمّوا صوفية لقرب أوصافهم من أهل الصّفة الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ" ¹.

- **الرأي الرابع:** يرى أصحابه أنّها منسوبة إلى "الصف الأول" لما لهم من تقدم و سابقة في العبادة قال الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف:" و قال قوم إنّما سمّوا صوفية لأنّهم في الصّف الأول بين يدي الله عزّ و جل بإتفاق همهم إليه، و إقبال قلوبهم عليه ووقوفهم بسرّاتهم بين يديه" ².

- **الرأي الخامس:** يرى أصحابه أنّ نسبة هذه الكلمة إلى "صوفانة" ³، جاء في كتاب تلبيس إبليس:" و قد ذهب أنه من الصوفانة و هي بقعة رعناء قصيرة فنسبوا إليها بإجتزائهم بنبات الصحراء، و قال آخرون أنّها منسوبة إلى صوفة القفا، و هي الشعيرات النابتة في المؤخرة كأن الصوفي به إلى الحق و صرفه عن الخلق" ⁴.

- **الرأي السادس:** يرى أصحابه أنّها مشتقة من كلمة "سوفيا اليونانية" ⁵، جاء في كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام:"يقول البيروني: إن الصوفية و هم حكماء، فإن سوف باليونانية- هي حكمة- و بها سمّي الفيلسوف "بيلاسوبا" أي محبة للحكمة، و لما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سمّوا باسمهم و لم يعرف اللقب بعضهم" ⁶.

¹ - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 5.

² - المصدر نفسه، ص 5.

³ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 6.

⁴ - ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 157.

⁵ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 6.

⁶ - علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3 (ط: 8، دار المعارف القاهرة، د.ت)، ص 43، أنظر ايضا: ماسينون و مصطفى عبد الرزاق: التصوف، (ط: 1، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة بيروت - لبنان، 1984 م)، ص 26.

- **الرأي السابع:** يرى أصحابه أنها منسوبة إلى " الصّفة " و تكون كلمة التصوّف عند من سلك هذا الإتجاه تعني الإتصاف بالصفات الحميدة، و ترك الخصال المذمومة و قريب من هذا المعنى فإن هناك من ينسبها إلى الصفوة و المصافاة و الإستصفاء¹.
- **الرأي الثامن:** يرى أصحابه أن هذه الكلمة منسوبة إلى " الصوف " لأنه كان لباس الزهاد و النساك و العباد، و لباس الرسل و الأنبياء². قال الطوسي: "نسبوا إلى ظاهر اللباس و لم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم و الأحوال التي هم بها متوسمون، لأن لبس الصوف كان دأب الأنبياء عليهم السلام و الصديقين و شعار المساكين و المنتسكين"³، و في قول آخر: "التصوّف مصدر الفعل الخماسي المصوّغ من "صوف" للدلالة على لبس الصوف، و من ثم كان المتجرد لحياة الصوفية في الإسلام يسمى صوفياً"⁴.

نقد هذه الآراء من قبل بعض العلماء و بيان الرأي الراجح عند كل واحد منهم :

1. أبو نصر السّراج الطوسي: قال: "إن سأل سائل فقال: قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث و نسبت الفقهاء إلى الفقه، فلم قلت: الصوفية و لم تنسبهم إلى حال و لا إلى علم... فيقال له : لأن الصوفية لم ينفردوا بنوع من العلم دون علم و لم يتوسموا برسم من الأحوال و المقامات دون رسم و ذلك لأنهم معدن جميع العلوم و محل جميع الأحوال المحمودة و الأخلاق الشريفة ... فلما كانوا في الحقيقة كذلك لم يكونوا مستحقين إسمًا دون إسم ... فلمّا لم يكن ذلك نسبتهم إلى ظاهر اللبسة لأن الصوف دأب عليه الأنبياء عليهم السلام و شعار الأولياء و الأصفياء... فلمّا أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك إسمًا مجملًا عامًا مخبرًا عن جميع العلوم و الأعمال و الأخلاق و الأعمال الشريفة المحمودة... فكذلك الصوفية عندي و الله أعلم"⁵. و بهذا فقد ردّ الطوسي الأقوال السبعة الباقية لأنّها لأنّها لم تتناسب و تتلاءم مع قواعد اللغة من حيث الإشتقاق بالنسبة لكلمة "التصوّف" و ذكر الرأي

1 - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 7.

2 - المرجع نفسه، ص 7.

3 - الطوسي، المصدر السابق، ص 41.

4 - ماسينون ومصطفى عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 25.

5 - الطوسي، المصدر السابق، ص 40، 41.

الأول و الثاني و الثالث في كتابه اللمع في باب "بيان صفة الصوفية و من هم؟ كدليل على ترجيحه بأن نسبتهم إلى الصوف.

2. أبو بكر مُحَمَّد الكلاباذي: قال: " و أمّا من نسبهم إلى الصُّفّة و الصُّوف فقد عبر عن ظاهر أحوالهم ذلك أنّهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان و هجروا الأخدان و أساحوا و أعجاعوا الأكباد و أعرّوا الأجساد لم يأخذوا من الدنيا إلّا ما يجوز تركه من ستر عورة و سدّ جوعة"، و قال: "و من نسبهم إلى الصفة و الصف الأول فقد عبر عن أسرارهم و مواطنهم و ذلك أن من ترك الدنيا و زهد فيها و أعرض عنها صقّى الله سرّه نور قلبه...، فيقول و إن كانت هذه الألفاظ المعبرة في الظاهر فإن المعاني متفحة لأنّها إن أخذت من الصفاء و الصّفوة كانت صقّوية و إن أضيفت إلى الصّف أو الصّفّة كانت صقّية أو صقّية ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية. وزيادتها من لفظ الصّفية أو الصّفية إنّما كانت من تداول الألسن، و إنّ جعل مأخذه من الصوف إستقام اللفظ و صحّت العبارة من حيث اللغة و جميع المعاني كلها من التّخلي عن الدنيا و عزوف النفس عنها، و ترك الأوطان و لزوم الأسفار و منع النفوس حظوظها..."¹. نرى بأن الكلاباذي أيضا رجح نسبتها إلى الصوف و أرجح الآراء الأخرى إلى عدم تلائمها مع قواعد اللغة في إشتقاق لفظة "التصوّف".

3. عبد الكريم القشيري*: قال: "هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال: رجل "صوفي" وللجماعة "الصوفية"، و من يتوصل إلى ذلك يقال له: "متصوّف" و للجماعة "متصوفة"، و ليس يشهد لهذا الإسم من حيث العربية قياس و لا إشتقاق، و الأظهر أنه كاللقب، فأما قول من قال: إنّه صوف، فيقال: تصوّف إذا لبس الصوف...فذلك وجه، و لكن القوم لم يقتصوا بلبس الصوف و من قال: أنّهم منسوبون إلى صقّة مسجد رسول الله ﷺ فالنسبة إلى الصقّة لا تجئ على النحو الصوفي و من قال: أنه مشتق من الصقّاء فإشتقاق الصوفي من الصقّاء بعيد في مقتضى اللغة.

¹ - الكلاباذي، المصدر السابق، ص9،5.

* هو أبو القاسم عبد الكريم هوزان بن عبد الملك بن طلحة القشيري، الخراساني، النسابوري الشافعي، الصوفي صاحب "الرسالة" المولود سنة 375هـ، تعانى بالفروسية و العمل بالسلاح ثم تعلم الكتابة و العربية و جاد فيهما، المتوفى سنة 465هـ يوم الأحد 26 من ربيع الآخر، (سير أعلام النبلاء).

وقول من قال: أنه مشتق من الصّفِّ فكأنهم في الصّفِّ الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، و لكن اللغة لا تقتضي في تعيينهم إلى قياس لفظ و إستحقاق إشتقاق¹. نرى أن القشيري لم يرجح أيّا من الأقوال بل قال أن التصوّف لقب لا يمكن اشتقاقه.

4. ابن خلدون: يذكر ما قاله القشيري الذي رجح عدم الإشتقاق كما سبق الذكر و أنه كاللقب. فيقول: "فلم يبق إلا أنه لقب وضع لهذه الطائفة، علما يتميزون به ثم تصرفوا في ذلك اللقب بالإشتقاق منه فقيل: مُتصَوِّفٌ و صُوفِيٌّ و الطريقة تَصَوُّفٌ و الجماعة مُتصَوِّفُونَ و صُوفِيُونَ"².

5. أبو طالب المكي*: قال: " و قد روينا عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إلبسوا الصوف، و شمروا و كلوا في أنصاف البطون تدخلون في ملكوت السماء"³. و منه يتبين لنا أنه رجح لبس الصوف.

6. ابن تيمية: يقول: "بأن النسبة إلى الصوف هي المعروف، و لأنهم أضيفوا إليه لكونه ظاهر حالهم في لبسهم". بعد أن صّعب كل الأقوال الأخرى، كما أن هذا القول أيده بعض المستشرقين منهم نيكلسون الذي ذكر أن لباس الصوف إتخذته الزهاد متشبهين برهبان النصارى و شاركه بقوله هذا كارل بروكلمان⁴.

خلاصة: من خلال ما ورد من الأقوال السابقة أن معظم العلماء سواء من الصوفية أو غيرهم قد رجحوا كفة أصل كلمة التصوف إلى "الصوف" و كل واحد ممن قال بهذا ربطه به بشكل مختلف من

¹ - أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، تحق: عبد الحليم محمود و محمود بن شريف، (د.ط، دار الشعب القاهرة ، 1409هـ - 1989م)، ص445.

² - فلاح بن إسماعيل بن أحمد: العلاقة بين التشيع و التصوف، (رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم الدراسات العليا شعبة العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1411هـ)، ص65.

* هو أبو طالب مُجَّد بن علي بن عطية المكي، الحارثي، العجمي، لقبه الذهبي بالأستاذ، المتوفى سنة 386 هـ صاحب كتاب " قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد". (قوت القلوب في معاملة المحبوب).

³ - أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحق: محمود إبراهيم مُجَّد الرضواني، ج3، (ط: 1، مكتبة دار التراث القاهرة، 1422 هـ - 2001 م)، ص 1380.

⁴ - فلاح بن إسماعيل، المرجع السابق، ص 68، 69.

الأقوال مثل من أسنده إلى لباس الأنبياء و الصالحين، و لكنه رغم هذا يظل إلى الآن أصلها مختلف فيه و غير واضح.

الفرع الثاني : بدء ظهوره كمصطلح

مثلما لم تتفق كلمة العلماء على الأصل الذي اشتقت منه كلمة "التصوف"، فقد اختلفوا كذلك في بدء ظهورها و استعمالها كمصطلح خاص، فذكر ابن تيمية و قد سبقه ابن الجوزي و ابن خلدون في هذا أن مصطلح "التصوف" و "الصوفية" لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى و إنما الذي اشتهر هو التكلم به، و قالوا أن التكلم به قد نُقل عن كثير من الأئمة و الشيوخ منهم: الحسن البصري و أحمد بن حنبل و أبي سليمان الداراني و غيرهم. كما ذُكر هذا في أقوال المستشرقين الذين كتبوا عن "التصوف" و قاموا بدراسته و الذين منهم: نيكلسون و الذي قال: أن مصطلح "التصوف" قد أُطلق لأول مرة على "أبي هاشم الكوفي" المتوفى سنة 150هـ. قال سفيان الثوري: "لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء"¹، بينما يقول ماسينيون: أن مصطلح الصوفي ورد لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به جابر بن حيان، و هو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، و أبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور، و يقول أيضا فيما نقله عن الهمداني "و لم يكن السالكون لطريق الله في الأعصار السالفة و القرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة، و إنما مصطلح الصوفي اشتهر في القرن الثالث، و أول من سُمي ببغداد بهذا الاسم "عبدك الصوفي"، و هو من كبار المشايخ و قدمائهم، و كان قبل بشر بن الحارث الحافي و السري المفلس السقطي"². كما ذُكر هذا عند البعض من المتصوفة منهم: السراج الطوسي الذي قال: في الباب الذي خصصه للرد على من قال لم نسمع بذكر الصوفية في القديم و هو اسم مستحدث؟، قال: "إن سأل سائل فقال لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب رسول الله و لا فيمن كان بعدهم و لا نعرف إلا العباد و الزهاد والسيّاحين و الفقراء، و ما قيل لأحد من أصحاب رسول الله صوفي؟ فنقول و بالله التوفيق، الصحبة مع رسول الله لها حرمة و تخصيص من شمله ذلك، فلا يجوز أن يعلّق عليه اسم على أنه أشرف من

¹ - إحسان إلهي ظهير: التصوف المنشأ و المصادر، (ط:1، إدارة ترجمان السنّة لاهور - باكستان، 1406 هـ - 1987م) ص40،48.

² - ماسينيون و مصطفى عبد الرزاق، المرجع السابق، ص55،56.

الصحبة، و ذلك لشرف صحبة رسول الله ﷺ و حرمة ألا ترى أنهم أئمة الزهاد و العباد و المتوكلين و الفقراء و الراضين و الصابرين و المحبتين و غير ذلك، و ما نالوا ما مالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله، فلمّا نسبوا إلى الصحبة و التي هي أجل الأحوال إستحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجل الأحوال و بالله التوفيق. و قد ردّ قول من قال أنه إسم محدث أحدثه البغداديون¹.

خلاصة: من خلال الأقوال السابقة نقول أن معظم العلماء و غيرهم قد رجحوا حداثة هذا اللفظ "التصوف و الصوّفي"، و أنه لم يظهر كمصطلح خاص إلا في القرن الثالث من الهجرة و ما بعده والذي عن طريقه عُرف و أشتهر.

المطلب الثاني: تعريف التصوف

قبل أن نتطرق إلى تعريف التصوف اللغوي و الإصطلاحي نبين هنا أننا سوف نجد عدة تداخلات في أقوال العلماء و الآتي ذكرهم مع من سبق ذكرهم من العلماء الذين قالوا بأصل الكلمة مع ما سيأتي ذكره و خاصة في التعريف اللغوي .

الفرع الأول: التعريف اللغوي

يوجد عدة تعريفات لغوية له نذكر، منها:

1. قال الفراهيدي: "الصُوفُ للضأن و شبهه، و زغبات القفا تسمى صُوفَةً القفا، و يقال لواحدة الصُوفِ "صُوفَةٌ" و تصغر صُوفِيَّةً و الصُوفَانَةُ: بقلة زغباء قصيرة، و صُوفَةٌ إسم حيّ من تميم و آل صُوفَانَ الذين كانوا يجيزون الحجاج من عرفات².

2. قال ابن فارس: صُوفٌ الصاد و الفاء و الواو و الفاء أصل واحد صحيح، و هو الصوف المعروف، و الباب كله يرجع إليه، يقال: كبش أَصُوفٌ و صُوفٌ و صَائِفٌ و صَافٍ كل هذا يكون

¹ - الطوسي، المصدر السابق، ص 42،43.

² - الفراهيدي: كتاب العين، تحق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ج7، (د.ط، مكتبة ودار الهلال، د.م، د.ت)، ص 161،162.

كثير الصوف، و يقولون: أخذ بصُوفَةٍ قَفَاهُ إذا أخذ بالشعر و السائل في نقرته، و صُوفَةٌ قوم كانوا في الجاهلية، كانوا يخدمون الكعبة و يجيزون الحاج¹.

3. قال الفيروزآبادي: الصوف بالضم: م. و بهاء أخص، و قولهم خرقاء وجدت صُوفًا لأن المرأة غير الصنّاع إذا أصابت صُوفًا أفسدته و أخذت بصُوفِ رقبتة و بصَافِها: بجلدها و شعرها المتدلي في فقرة قفاه أو بقفاه جمعاء، و أعطاه بصُوفِ رقبتة: برمته أو مجانا بلا ثمن، و صُوفَةٌ أيضا: أبو حيّ من مضر و هو "الغوث بن مرّ" ابن طابخة كانوا يخدمون الكعبة و يجيزون الحاج في الجاهلية، أو هم من أفناء القبائل تجمعوا فتشبهوا كتشبيك الصُوفَةِ².

4. قال الأزهري: قال الليث: "الصُوفُ للضأن و ما أشبهه و يقال: كبش صَافٍ و نعجة صَائِفَةٌ قال أبو عبيد عن الكسائي: كبش أَصُوفٌ و صُوفٌ و صَائِفٌ و صَافٍ، كل هذا يكون الصوف ثعلب عن ابن الأعرابي الصُوفَانَةُ: بقلة معروفة، و قال الليث: هي بقلة زغباء قصيرة. قال: و تسمى زغبات القفا: صُوفَةُ القَفَا، قال: و صوفة اسم حي بن تميم، كانوا يجيزون الحاج في الجاهلية في منى³.

خلاصة: من خلال ما أوردنا من تعاريف لمصطلح التصوف في اللغة نجد أنه في معظم كتب اللغة أيضا يرجعونه إلى لبس الصوف أو صوفة القفا و هذا هو الراجح عندهم.

¹ - ابن فارس: مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام مجدّ هارون، ج3، (د.ط، دار الفكر، د.م، 1399 هـ - 1979 م)، ص322.

² - الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، (ط:8، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م)، ص 1071.

³ - الأزهري: تهذيب اللغة، تحق: أحمد عبد العليم البردوني، ج12، (د.ط، الدار المصرية، د.م، د.ت)، ص 247.

الفرع الثاني : التعريف الإصطلاحي

لقد عرّف التصوف بعدة تعريفات من قبل علمائه من المتصوفة، و التي لا تعد و لا تحصى فمنهم من عدّها إلى أكثر من عشرين تعريفا كقطب الدين أبي المظفر منصور بن أَرْدَشِير السنجي المروزي ومنهم من عدّها إلى خمسين تعريفا كالقشيري في رسالته و كذلك المستشرق نيكلسون إلى ثمانية وسبعين ألفا تعريفا والطوسي الذي ذكر أنّها تتجاوز مئة تعريف و السهروردي الذي قال أن أقوال المشايخ فيه تزيد عن ألف قول¹، و سوف نذكر بعضا من هذه التعريفات الواردة عندهم:

- قال رفيق العجم : " و التصوّف مشتق من الصفاء لا من لبس الصُوفِ، الصوفي الصادق في تَصُوفِهِ يَصُفُو قلبه عمّا سوى مولاه عزّ و جل و هذا الشيء لا يجيئ بتغير الخرق و تصغير الوجوه و جمع الكتب و إنّما يجيئ بالصدق في طلب الحق عزّ و جل و الزهد في الدنيا و إخراج الخلق من القلب و تجرده عمّا سوى مولاه عزّ و جل"².
- قال الجنيد بن مُحمّد : "التصوف هو تصفية القلب عن موافقة البرية و مفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية و مجانية الدواعي النفسانية و منازل الصفات الروحانية و التعلق بالعلوم الحقيقية و استعمال ما هو أولى على الأبدية، و النصح لجميع الأمة و الوفاء لله على الحقيقة وإتباع الرسول ﷺ"³.
- سئل أبو مُحمّد الجريدي عن التصوف فقال: "الدخول في كل خلق سيّ و الخروج من كل خلق دني"⁴.

¹ - إحسان إلهي ظهير، المرجع السابق، ص 36.

² - رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، (ط:1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت- لبنان ، 1999م)، ص555.

³ - الكلاباذي، المصدر السابق، ص 10،9.

⁴ - القشيري، المصدر السابق، ص 465.

- و سئل عمرو بن عثمان المكي عن التصوف فقال: "أن يكون العبد في كل وقت بما هو أولى به في الوقت"¹.
- قال رويم بن أحمد البغدادي: "التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر و الإفتقار الى الله و التحقق بالبذل و الإيثار و ترك التعرض و الإختيار"².
- و قال معروف الكرخي: "التصوف الأخذ بالحقائق و اليأس مما في أيدي الخلائق"³.
- و قال الكتاني: "التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"⁴.
- كما ذكر له الشبلي عدة تعريفات منها: "التصوّف الجلوس مع الله بلا هم"⁵.
- قال التفتازاني في كتابه مدخل إلى التصوّف الإسلامي: أنّ التصوف أخلاقيات مستمدة من الإسلام، و هو بهذا الإعتبار روح الإسلام لأن أحكام الإسلام كلها مردودة إلى أساس أخلاقي مستدلا بما قال ابن القيم: "إسبال الخلق عن الخلق بسطا، و هذه حقيقة التصوّف فإنه كما قال أبو بكر الكتاني: "التصوّف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوّف"⁶.
- و سئل سمون عن التصوّف فقال: "أن لا تملك شيئا و لا يملك شيء" و لبعض المشايخ في التصوف ثلاثة أجوبة: جواب شرط العلم و هو تصفية القلوب من الأكدار و إستعمال الخلق مع الخليفة و إتباع الرسول في الشريعة و جواب بلسان الحقيقة و هو عدم الإمتلاك و الخروج من رّق الصفات و الإستفاء بخالق السموات و جواب بلسان الحق، أصفاهم بالصفاء عن صفاتهم و صفّاهم من صفاتهم فسمّوا صوفية⁷.

¹ - المصدر نفسه، ص 465.

² - المصدر نفسه، ص 466.

³ - المصدر نفسه، ص 466.

⁴ - المصدر نفسه، ص 466.

⁵ - المصدر نفسه، ص 467.

⁶ - التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، (ط:3، دار الثقافة القاهرة، 1399هـ - 1979م)، ص 11، 12.

⁷ - رفيق العجم، المرجع السابق، ص 177.

خلاصة: من خلال هذه التعريفات يمكننا القول: أن التصوف هو وصول النفس الإنسانية إلى النقاء و الصفاء الذي يوصلها إلى الدرجات اليقينية للإيمان فتتجسد قوة الإيمان في الفناء لله سبحانه وتعالى وحده.

المطلب الثالث: مصادر نشأة التصوف الإسلامي

اختلف الباحثون في تحديد مصدر نشأة التصوف فتعددت الأقوال فيه : ف قيل أنه مستمد من الأفكار اليونانية، و قيل أنه وافد من الديانات الهندية بالأخص البوذية و قيل أنه ذا أصول يهودية و قيل أنه ذا أصول مسيحية و قيل أنه مستمد من مصادر إسلامية و أخرى فارسية، و لكنه تطور و دخلت عليه أفكار أخرى حرفته عن مساره، و ذهب آخرون إلى أنه ليس له علاقة بالإسلام سواء في الوقت الذي نشأ فيه أو فيما حصل له بعد ذلك من تطورات و تغيرات¹، و نحن في إطار هذا سوف نعرض نماذج لهذه الأقوال المختلفة.

أولاً ← التصوف مستمد من الأفكار اليونانية:

أن التصوف قد أخذ في تدعيم مبادئه و آرائه و أفكاره من الأفكار اليونانية المتعددة المذاهب والطرائق، و لعل من أبرز هذه الأفكار ما بيّنه نيكلسون في كتابه "الصوفية في الإسلام"²، و الآتي ذكرها:

1- الفكر الغنوصي: الغنوصية كلمة يونانية تعني المعرفة و لكنها أخذت فيما بعد معنى اصطلاحى وهو "التوصل بطريق الكشف إلى المعارف العليا أو تذوق المعرفة تذوقاً يستند إلى برهنة عقلية وهذا هو موجود عند الصوفية"³.

2- الأفلاطونية الحديثة: تعد الأفلاطونية الحديثة من أهم المصادر التي إقتبس منها الصوفية في نظرية الكشف و الشهود، يقول علي سامي النشار: " أن مصدر التصوف هو الأفلاطونية الحديثة، ومما

¹ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 44،40 و التفتازاني، المرجع السابق، ص 30،32.

² - ر.أ. نيكلسون: الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شريبه، (ط:2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1422 هـ - 2002 م)، ص 27،22.

³ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 45،57.

لا شك فيه أننا نجد في كتابات بعض الصوفية في القرون الثاني و الثالث و الرابع الهجريون بعض الآثار الأفلاطونية المحدثه¹، و هذا لأنها أتت بالنظريات الفلسفية الحديثة كالمعرفة الإشرافية والتي تلقى القاءً في النفس عند تحررها و تطهرها من الكدورات، و يتجلى هذا واضحاً في كلام الصوفية في الفيض الالهي و التجليات، و قولهم في الله عزّ و جل أنه الأول و الآخر و الظاهر و الباطن². و منه تعد هذه الأخيرة من مصادر الفكر الصوفي الذي يمكننا القول عليه بأنه فكر صوفي فلسفي.

ثانياً ← أنه وافد من الديانات الهندية " البوذية أمودجا":

إنّ القارئ و المتمعن في كتب التصوف سيدرك إلى حد كبير بأن المتصوفة قد تأثروا بما جاء في هذه الديانة في تعاليمهم و عقائدهم و أورادهم و أذكارهم و طرق تعبدهم و رياضاتهم ، و يتجلى هذا التأثير كما بيّنه البيروني و غيره من الباحثين كنيكلسون في كتابه "الصوفية في الاسلام" فيما سنذكر من بعض هذه الأفكار و الأقوال التي تبين و تؤكد بأن المصادر الهندية من أهم المنابع التي إرتوى منها التصوف:

1- فكرة الحلول و وحدة الوجود: قال البيروني في هذا: " و إلى طريق بتنجل ذهبت الصوفية أنفسهم في الإشتغال بالحق"، كما ذكر أمثلة على هذا من أقوال للصوفية أنفسهم كقولهم: "مادمت تشير فلست بموحد حتى يستولي الحق على إشارتك بإخفائها عنك فلا يبقى مشير و لا إشارة"، و قول الشبلي في قضية الحلول: "إخلع الكل تصل إلينا بالكلية فتكون و لا تكون أخبارك عنّا و فعلك فعلنا"، و أمّا ما يتعلق بفكرة و وحدة الوجود فيقول ول ديورانت "إذا بحثنا عن أخطر نظرية أخذها الجانب الصوفي في الإسلام عن المصدر الهندي وجدنا نظرية وحدة الوجود أنها أساس جوهر " الفيدا" فالإله "براجاتي" هو خالق الخلق، و العالم فيها نشأ من العدم و إنّما أجزاءه أبغاض الإله³.

¹ - علي سامي النشار، المرجع السابق، ص 32،33.

² - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 47،59.

³ - المرجع نفسه، ص 40،41.

2- فكرة تعذيب النفس و حرمانها: أخذوا هذه الفكرة من بوذا مؤسس الديانة البوذية صاحب فكرة "النرفانا" و نجد هذا واضحا عند المتصوفة فيما حكوه في قصة "إبراهيم بن الأدهم"¹.

ثالثا ← أنه ذو أصول يهودية:

و يتبين هذا من خلال مظاهر طقوس العبادة و الغلو و تحريف الكلام عن مواضعه من الظواهر التي تأثر فيها المتصوفة باليهودية فتجد أن مبدأ تقديس المشايخ لدى بعض المتصوفة و تقديم كلامهم على النصوص الشرعية و قبول سلوكهم و إلزام المرید بذلك متشابهة في تقديس اليهود لأحبارهم و تقديس كلامهم و تقديمه على كلام التوراة و إعتبره مصدرا للتشريع²، فنقول أن الصوفية إستفادوا و تأثروا بهذه الديانة.

رابعا ← أنه ذو أصول المسيحية:

بالتطلع على ما جاء عندهم نجد أن بعضهم دعا إلى ما تدعوا إليه هذه الديانة من الخلوات المظلمة والنفور من الناس و العزوف عن الزواج و تطهير الروح عن طريق تعذيب الجسد و لبس الصوف وغيره من الأمور و السياحة في البلاد³، و التي تتمثل عند المسيحيين في ما يسمّى "بجياة الرهبنة" الآتي التفصيل فيها في المبحث الثاني يقول نيكلسون: "من الجلي أنّ ميول الزهد و التأمل التي أشرت إليها كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية و منها إستمدت أسباب قوتها فكثير من نصوص الإنجيل و من الأقوال المنسوبة إلى المسيح مقتبسة في أقدم تراجم الصوفية و رياضات الزهد الأخرى لعلها ترد إلى هذا الأصل نفسه"⁴، كما جاء في قول الحلاج في معنى الحلول النصراني:

سبحان من أظهر ناسوته سرّسنا لاهوته الثاقب

ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الأكل و الشارب

¹ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 56،44.

² - المرجع نفسه، ص 60،48.

³ - المرجع نفسه، ص 61،49.

⁴ - نيكلسون، المرجع السابق، ص 20،19.

حتى لقد عانيه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وبتحليل هذه الأبيات نجد إشارة إلى ثنائية الطبيعة الإنسانية اللاهوت و الناسوت التي قال بها النصارى في نبي الله عيسى عليه السلام¹، وهذا دليل على أخذ بعض المتصوفة من مذهب النصارى .

خامساً ← أنه مستمد من مصادر الاسلامية:

1- الكتاب و السنة²: قال الصوفية أنفسهم بأن التصوف مصدر إسلامي و هؤلاء أيدهم و ذهب معهم فريق من العلماء المسلمين الذين ليسوا من أهل التصوف، فهم يرون أن القرآن الكريم و سنة رسول الله و أقوال أصحابه و تابعيه هو المصدر الحقيقي فقالوا أنه: من القرآن و السنة استمدوا آراءهم في الأخلاق و السلوك و في رياضاتهم العلمية التي إصطنعوها من أجل تحقيق مذهبهم في الحياة الصوفية فهم و بين الطوسي بأن لهم تخصصاً بمكارم الأخلاق و البحث عن معالي الأحوال و فضائل الأعمال إقتداءً بنبي الله ﷺ و بصحابته و من تبعه مدّعين قولهم برأيين :

أ- ما أثر عن رسول الله ﷺ من زهد و تعبّد و تنسك و توبة و مجاهدة و ورع و صبر و توكل و رجاء و غيرها من الأخلاق.

ب- إستناداً إلى بعض آيات القرآن الكريم و إلى أحاديث نبوية منها القدسيّة.

2- الشيعة³: دلالة هذا هو إتفاق الفريقين في مسائل و أمور منها:

أ. مفهوم الولاية فهو متقارب في مفهوم كل منهما.

ب. إدعاء العلوم الخاصة يزعم البعض من الصوفية أن لهم علوماً خاصة كما قال الشيعة في أن لديهم قرآناً خاصاً بهم مستدلين بقول عبد الرحمان الخلق بقول أبي يزيد البسطامي: "خضنا بحراً و وقف الأنبياء بساحله".

¹ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 49، 50.

² - المرجع نفسه، ص 53.

³ - المرجع نفسه، ص 51.

سادساً ← التأثير الفارسي: و هذا لأن عددا من شيوخ الصوفية كانوا من أصل فارسي كأبي يزيد البسطامي¹.

خلاصة: و في الأخير نقول أنه بعد عرضنا و إطلاعنا على ما جاء في هذه المصادر : نرى أن التصوف قد تشرب من كل مصدر منها و أخذ منه ما يفيد في حاجياته و مطالبه الأساسية و إذن لا يمكننا الجزم بأنه نشأ من مصدر دون آخر، و هكذا كانت نشأة التصوف بصفة عامة و على هذا الأساس يمكننا القول أن التصوف مزيج بين أديان و فلسفات و على إثرها يمكننا تقسيمه إلى نوعين:

- تصوف ديني² "سني" و الذي هو ظاهرة مشتركة بين الأديان جميعا سواء كانت الأديان سماوية أو أديان وضعية خاصة (الشرقية القديمة) أو الذي أخذ من القرآن و السنة النبوية .
- تصوف فلسفي³: و الذي هو مزيج بين فلسفات عديدة سواء الفلسفات اليونانية القديمة أو الفلسفات الحديثة المعاصرة و غيرها.

المطلب الرابع: أهم المعتقدات و الشخصيات الصوفية

الفرع الأول: أهم المعتقدات و المبادئ

للتصوف العديد من المعتقدات و المبادئ مبنية على أساسات قديمة عندهم و من هذه الأساسات في معتقداتهم و مبادئهم الآتي:

أولاً- المقامات و الأحوال:

1- المقامات: قال الطوسي فيها إن سئلت ما هي المقامات ؟ فهي ما معناه مقام العبد بين يدي ربه فيما يقام فيه من العبادات و المجاهدات و الرياضيات و الإنقطاع إلى الله عزّ و جل

¹ - المرجع نفسه، ص 53.

² - التفتازاني، المرجع السابق، ص 3.

³ - المرجع نفسه، ص 3.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (سورة إبراهيم: 14)

ومن المقامات¹ نذكر الآتي :

أ- التوبة: تعتبر التوبة أول مقام عندهم و الذي ينبغي على السالك المنقطع لله أن يطلبه ثم يتخطاه إلى ما بعده فهي بمثابة الأصل و الأساس لكل المقامات التي تليها و لهذه التوبة عند الصوفي أكثر من تعريف حتى و إن كانت في الأخير تدل على أمر واحد²، على سبيل الذكر يعرفها القشيري فيقول: "فيها ما من شيء أحب إلى الله من شاب تائب و التوبة أول منزلة من منازل السالكين و أول مقام من مقام الطالبين"³، و التوبة عندهم لا تعتمد على الجسم بل النفس كما يقولون إنّ التوبة تعتمد على القلب و جوارحه لذا ينبغي لهذا القلب أن يكون منتبه و صاحي وأنه لن تتم التوبة الصالحة للمرء إلا إذا أصغى لصوت الضمير الداخلي و لصوت الحق و هذه التوبة هي هبة و منحة و نفحة إلهية يعطيها الله لعبادة المتقين الورعين، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَتَوَوُّأ إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة النور: 31)

ب - الورع : هو ثاني مقام عندهم و المقصود به أن يتقي الإنسان الله في كل أفعاله و أنه على المرء أن يراعي الله في سلوكه و أن يكون على إدراك تام أن الله عالم و مطلع على كل فعل يقوم به و قد توسع الصوفية في هذا المقام حتى أنهم حرموا على أنفسهم كل فعل و كل قول و كل ملبس فيه شبه فكان الرجل يترك دابته إذا شك أنها أكلت من غير ملكه⁴، يقول الطوسي "ومقام الورع مقام شريف و أهل الورع على ثلاث طبقات: فمنهم من تورع عن الشبهات التي اشتبهت عليه، و منهم من يتورع عما يقف عنه قلبه و يحيك في صدره عند تناولها و منهم العارفون و الواجدون"⁵، مستدلين على

قولهم بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (سورة البقرة: 172)

¹ - الطوسي، المصدر السابق، ص 71.

² - فيصل بدير عون: التصوف الإسلامي الطريق الرجال، (د.ط، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين الشمس، د.م، 1983 م) ص 102.

³ - القشيري، المصدر السابق، ص 177.

⁴ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 105.

⁵ - الطوسي، المصدر السابق، ص 71.

ج- الزهد: يعتبره المتصوفة الأب الشرعي للتصوف و أنه من غير الممكن أن يوجد التصوف إلا إذا سبقته حركة الزهد، فالزهد هو المعرفة الضرورية التي لا بد منها لقيام التصوف و نهضته، و من أقوالهم فيه: يقول القشيري: " الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها"¹، و يقول الطوسي: " الزهد مقام شريف و هو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنّية و هو أول قدم القاصدين إلى الله عزّ و جل و المنقطعين إلى الله تعالى، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة و الزهد في الدنيا كل رأس خير و طاعة"². و نذكر هنا أن الزهد لم يكن موضع خلاف بين الصوفية وإنما الإختلاف بينهم كان بشأن المواضيع و الموضوعات التي ينبغي أن يزهد فيها³.

د- الفقر: هذا المقام مرتبط بمقام الزهد لأن الزهد في حقيقته هو الفقر، فالفقر أمر ضروري عندهم حيث أنه إذا أراد السالك السير في الطريق و الوصول إلى منتهاه عليه أن لا يشغل نفسه بأمر الدنيا كالزواج و تكديس المال و يستدلون على قولهم بحديث رسول الله ﷺ: "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء"⁴، قال الجنيد: " علامة الفقير الصادق أن لا يسأل و لا يعارض و إن عورض سكت"⁵ و جاء في كشف المحجوب: " إعلم أن للفقر في طريق الله عز و جل مرتبة عظمي وللفقراء خطر كبير كما قال تعالى قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ (سورة البقرة: 273)⁶، و قال الطوسي: " الفقر مقام شريف و قد وصف الله تعالى الفقراء و ذكرهم في كتابه"⁷.

¹ - القشيري، المصدر السابق، ص 216.

² - الطوسي، المصدر السابق، ص 72.

³ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 109، 112.

⁴ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، باب: مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 10936 .

⁵ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 112، 113.

⁶ - المحجوري: كشف المحجوب، تر: إسعاد عبد الهادي قنديل، (د.ط، مكتبة الإسكندرية، 1394 هـ - 1974 م)، ص 210.

⁷ - الطوسي، المصدر السابق، ص 74.

هـ- الخلوة و العزلة: قال القشيري: لا تصح الخلوة إلا بأكل الحلال و لا يصح أكل الحلال إلا بأداء حق الله، و الخلوة هي صفة أهل الصفة، و العزلة من أمارات أهل الوصلة¹.

2- الأحوال: قال الطوسي فيها و أمّا معنى الأحوال فهو ما يجلب بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار ، و ليس الحال من طريق المجاهدات و العبادات و الرياضات كالمقامات²، و من الأحوال نذكر:

أ- المحبة: تعتبر عند المتصوفة حالا من الأحوال التي تمنح للمرء و توهب له من الله و هو على طريق التصوف و التي بدونها لا يمكن للمريد و السالك أن يصل إلى الدرجات العليا من المقامات لذا فالمحبة فضلا على أنّها مكافاة للصوفي من عند الله فإنها أيضا تعد باعثا له على أن يتحرك نحو المحبوب و على أن ينقض نفسه من شوائب العالم المادي³، و لذا يقول القشيري: "إنّ المحبة حال حال شريفة يشهد بها الله لعبده و هي الإرادة فالإرادة لا تتعلق بالقديم اللهم إلا إذا تحمل على إرادة التقرب إليه و التعظيم له فمحبته الحق سبحانه للعبد إرادته لإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته له إرادة الإنعام"⁴.

الشوق: يرتبط بالمحبة، و ذلك لأن رسوخ المحبة في قلب العارف و تفصيله للحبيب من شأنه أن يولد شوقا هائجا في قلب المؤمن لا ينطفئ إلا بالوصول و اللقاء و أن الله بهذا الشوق يريد من الإنسان أن يهيء نفسه لرحلة السفر هذه و أن يتسلح بالمقامات و الأحوال حتى يستطيع أن يقطع رحلته هذه و حتى لا يخر صعقا من لقاء ورؤيته لقوله تعالى قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ (سورة العنكبوت: 5)⁵.

ج- الهيبة و الأنس: عند الصوفية الهيبة ناشئة من القبض الذي هو ناشئ من الخوف و هذا لأن من خاف الله و عرف تقصيره في حقه تعالى إنقبض قلبه و بقي مشغولا بالله فيحصل له الهيبة منه

¹ - القشيري، المصدر السابق، ص 195، 196.

² - الطوسي، المصدر السابق، ص 66.

³ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 125.

⁴ - القشيري، المصدر السابق، ص 348.

⁵ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 127، 129، وانظر الرسالة القشيرية، ص 358.

وأما الأنس فهو ناشئ من البسط الذي هو ناشئ من الرجاء، قال الجنيد: "إنّ الأنس إرتفاع الحشمة مع وجود الهيبة"¹.

د- **القرب**: يقول القشيري: "أول رتبة في القرب، القرب من طاعته و الإلتصاف في دوام الأوقات بعبادته"².

هـ- **الحياء**: عند الصوفي مرتبط بمحبة الله و شوقه إليه و قربه منه و قطع المقامات له إذ عليه أن يلقاه بالحياء و الخجل منه³.

و- **الصحو و السكر**: يقول القشيري: "الصحو هو الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة و السكر هو غيبة بوارد قوي"⁴.

ي- **الفناء و البقاء**: الفناء عند الصوفية هو سقوط الصفات المذمومة أما البقاء فهو قيام الصفات الحمودة⁵.

هذه البعض من المقامات و الأحوال عند المتصوفة.

ثانيا- الشريعة و الحقيقة:

الشريعة عند المتصوفة هي مجموعة الأحكام العملية التكليفية و هي ما يسمّى بالفقه الإسلامي و أما الحقيقة فهي ما وراء هذه الأحكام من إشارات و أسرار و جاء قولهم هذا لإهتمامهم بأعمال القلوب من المحبة و الخشية⁶.

¹ - المرجع نفسه، ص 129، 130.

² - القشيري، المصدر السابق، ص 165.

³ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 134.

⁴ - القشيري، المصدر السابق، ص 163.

⁵ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 135، 138.

⁶ - مُجّد عبده و طارق عبد الحليم: **الصوفية نشأتها و تطورها**، (د.ط، مكتبة الكوثر الرياض، د.ت)، ص 56، 61.

ثالثاً- الحقيقة الحمّدية:

تولدت هذه الفكرة عندهم بسبب تأثرهم بالفلسفة اليونانية في تقريرها لأول مرة مخلوق و النصرانية التي أدخلت صفة الربوبية على المسيح، فيقولون فيها أن: "رسول الله ﷺ أول موجود و من نوره خلقت جميع الأكوان، و أول مخلوق و هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره وهو الذي منه إنشقت الأسرار و لا شيء إلاّ و هو منوط به، و هو عين الإيمان و السبب في وجود كل إنسان¹.

رابعاً- وحدة الأديان²:

يقولون فيها بأن جميع الأديان واحدة فيساوون بينها و يتبين هذا في أشعارهم و كمثال على ذلك نذكر ما قاله جلال الدين الرومي:

أنظر إلى العمامة أحكمها فوق رأسي ...

بل أنظر إلى زنار زرادشت حول خصري ...

فلا تنأ عني لا تنأ عني ...

مسلم أنا و لكّي نصراني و برهمي و زرادشتي ...

توكلت عليك أيها الحق الأعلى ...

ليس لي معبد واحد ...

مسجداً أو كنيسة أو بيت اصنام ...

و وجهك الكريم فيه غاية نعمتي ...

فلا تنأ عني... فلا تنأ عني ...

¹ - المرجع نفسه، ص 62،64.

² - مُجّد العبد و طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 65،68.

خامسا- الأولياء و الكرامات:

و هما أكثر الأشياء التي يقول بها المتصوفة، فيقولون في الولي أنه من يتولى الله سبحانه أمره، فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته و هو الذي يتولى عبادة الله و طاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان و أن التولي عندهم لا يكون وليا إلا إذا أقام حقوق الله تعالى على الاستقصاء و الإستفاء و أن يكون محفوظا¹، و من الولي تكون الولاية و التي هي عبارة عن فناء والذي يعد من أكبر مقامات الولي عندهم².

أما بالنسبة للكرامة فهي تشبه الخوارق و المعجزات فالله خلق الكون و سيّره على سنن محكمة مطردة لا تتعارض و لا تتخالف و جعل لكل سبب مسبباته و أسبابه و مربوطة مع بعضها، و جعل لكل الأشياء التي أودعها خواصها كخلق النار و جعلها للإحراق و هذا بنظام محكم، فإذا خرجت هذه الأشياء و خرقت طبيعتها و هذا بإذن الله لمصلحة دينية أو دعاء رجل صالح فهذا الخرق إذا كان لنبى يسمى معجزة و إذا كان لأناس صالحين فهو كرامة مثل ما أكرم الله سبحانه أم أيمن عندما هاجرت وليس معها زاد و لا ماء فكادت تموت من العطش توت من العطش و كانت صائمة فلما كان وقت الفطر سمعت حسا على رأسها فإذا دلو معلق فشربت منه³. إذن فالكرامة درجة عالية لا يصل إليها عندهم إلا الأولياء، مستدلين على هذا من القرآن و السنة :

- فمن القرآن قوله تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطَبًا جَنِيًّا﴾ (سورة مريم: 25)

- و من السنة حديثه ﷺ في قصة جريح الراهب و كلام الصبي و جريح لم يكن صبيا، كما يقولون بأن جل الكرامات التي تكون للأولياء هي العصمة من المعاصي و المخالفات⁴.

¹ - المرجع نفسه، ص 70.

² - القيشري، المصدر السابق، ص 292، 293.

³ - مُجَدِّ العبد و طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 72، 73.

⁴ - مُجَدِّ العبد و طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 70، 79.

سادسا- الأقطاب و الأوتاد و الأبدال و النجباء و النقباء:

ظهرت هذه المصطلحات هذه المتصوفة نتيجة للغلو في الأولياء، فهذه الأقطاب و الأوتاد هي تسميات بمثابة مراتب لأولياءهم و قد قاموا بترتيبهم على النحو الآتي :

1- القطب 2- الأوتاد الأربعة 3- الأبدال و عددهم أربعون و هم من الشام

3- النجباء و هم الذين يحملون عن الخلق أثقالهم 5- النقباء.

سابعا- الشطح و اللامعقول:

يقول به بعضهم و أنه لأجل أن يصلوا إلى الأحوال و المقامات العالية عليهم إلغاء العقل و لذلك فهم يذكرون حوادث لمشايعهم و يقرون عليهم أمورا يأبها العقل بل يكذبها و ممن يقولون فيهم بالشطح و اللامعقول ما جاء في ترجمة الشيخ أحمد الرفاعي أنه: " إذا تجلى الحق تعالى عليه بالتعظيم يذوب حتى بقعة ماء ثم يتداركه اللطف فيصير يجمد شيئا فشيئا حتى يعود إلى جسمه المعتاد و يقول لولا لطف ربي ما رجعت لكم"¹.

خلاصة: و ما سبق ذكره يعد خلاصة لأهم معتقداتهم و مبادئهم التي يقولون بها و التي هي قاصرة عليهم دون غيرهم.

¹ - مُجَدِّ العبد و طارق عبد الحليم، المرجع السابق، ص 80.

الفرع الثاني : أهم الشخصيات الصوفية

ظهر في التاريخ الإسلامي العديد من الشخصيات الصوفية و ساهمت في نشأة التصوف و اتبعت طرقة، و فيما يلي إقتصار على أهم الشخصيات التي برزت منه و فيه .

- رابعة العدوية :

ولدت رابعة في أسرة فقيرة جدا و بالرغم من فقرها فإن والدها عاهد الله أن لا يسأل أحدا أبدا، إلا أنه حين ولدت رابعة ذهب إلى جيرانه ليطلبهم في زيت لأجل القنديل و هذا بعد إلحاح زوجته إلا أنه رجع مكسور الخاطر بسبب عدم إستجابة جيرانه لطلبه فقيل أنه رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " له لا تحزن فهذه البنت الوليدة سيدة جليلة القدر و أن سبعين ألفا من أمتي في حمايتها و شغلها"، و سبب تسميتها رابعة لأنها كانت الرابعة في أخواتها، أخذها رجل ظالم و من ثم باعها إلى رجل قام بإستغلالها بمشقة و تعب، و بالرغم من هذا كانت تخدم سيدها و هي تصوم النهار و تقوم الليل قائمة على رجليها، و في إحدى الليالي إنتبه لها سيدها و هي قائمة تصلي و سمع مناجاتها لله: إلهي، تعلم أن هوى قلبي على موافقتك و إمتثال أمرك ورضائي في خدمة باب عظمتك و إن كان أمري بيدي ما فترت عن العبودية و إستحرت و لكنك جعلتني تحت يد مخلوق"، و لهذا قام بعنقها فخرجت من عنده و سكنت في خربة ما كان يطّلع على حالها غير علام الغيوب فيها و اشتغلت رابعة بعبادته و كانت تصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة و تحضر مجلس الحسن البصري أحيانا، كما أنها ذهبت للحج و حجت و هي باكية تقول: " يا إلهي، إن قبلت حجتي فأكتب لي ثوابها، و إن لم تقبلها فتلك مصيبة فأعطني أجرها"¹، و لم يعرف عن رابعة أنها تزوجت، و هذا لأن الزواج في نظرها من متاع الدنيا و هي لا تطلبها بل تطلب الآخرة، و يقال أن الحسن البصري من الذين تقدموا لها، و لما سئلت عن حب الله قالت: نعم، و لما سألت عن بغض الشيطان قالت: لا. قيل لها: و كيف ذلك قالت: لغلبة محبة الرحمان لا أتفرغ لعداوة الشيطان، و لهذا سميت بمدرسة و شهيدة " الحب الإلهي"، فقد تكلمت رابعة عن جميع الخصال التي يحويها التصوف من الحبة و التوبة و الرضا وغيرها، كما إشتهر لها كثير من الأقوال و المواعظ و الحكم التي وعظت بها²، إختلف

¹ - فريد الدين عطار نيسابوري: تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام، (د.ط، دن، دم، دت)، ص 113،94.

² - فريد الدين عطار نيسابوري، المرجع السابق، ص 113،94.

العلماء في تاريخ وفاتها فقيل أنها توفيت سنة 135هـ و قيل أنها توفيت سنة 185هـ عن عمر يناهز 135 سنة¹.

- الحلاج .

هو الحسين بن منصور الحلاج ولد في منتصف القرن الثالث الهجري حوالي (244 هـ - 857 م)²، ببغداد بباب الطاق يوم الثلاثاء بست بقين من ذي القعدة سنة (309 هـ - 922 م)³، ولد ببلدة الطور الواقعة في الشمال الشرقي من البيضاء بفرس - إيران- و لقب "بالحلاج"، لأنه جلس على حانوت حلاج*، و قيل لأنه كان يتكلم قبل أن ينسب إليه علم الأسرار و يخبر عنها فسُمّي "حلاج الاسرار"، و تشير الأقوال إلى أنه تنقل مع والده إلى تستر و تأتي أهمية هذا في أن هذه المدينة كانت خاصة بالعرب فتعلم الحلاج فيها اللغة العربية و من ثم القرآن الكريم و الذي فتح له المجال لفهمه و حفظه كما سمح له هذا بإستخدامه ألفاظ اللغة العربية بطريقة يصعب على غيره إستخدامها، و يعد الحلاج من أوائل الصوفية و التصوف الإسلامي، و قد أخذ الحلاج التصوف على يد المتصوف: "سهل التستري" و من ثم على "عمرو المكي" و بسبب المشاكل التي دارت بين أنسابه و أستاذه عمرو المكي سافر إلى مكة حيث تمكن هناك من الوصول إلى ثورته الروحية فتمكن من إعداد و تعبئة قلبه و روحه ليكون خالصا لله وحده سبحانه لأنه إنطوى فيها على نفسه و إبتعد عن الآخرين إلا الله، خرج الحلاج من مكة إلى الأهواز بعد أن أصبح أستاذا جليلا و شيخا ورعا و صوفيا كاملا فيها فقام بنشر إتهامه و دعوته بين المريدين و المحبين له من تلاميذه⁴، و تعتمد طبيعة إتهامه الصوفي على خصلتين هما: الوحدة (الإتحاد) و الحب الالهي⁵.

¹ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 140.

² - المرجع نفسه، ص 161.

³ - أبو عبد الرحمان السلمي: الطبقات الصوفية، تحقق: أحمد الشرباصي، (ط:2)، كتاب الشعب، 1419 هـ - 1998م) ص 103

* - الحلاج: هو الذي يدلّف القطن.

⁴ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 161، 164.

⁵ - أبو عبد الرحمان السلمي، المصدر السابق، ص 103.

- الغزالي³.

أنجب القرن الخامس الهجري علما من أعلام الفكر الإسلامي و هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي ولد في مدينة طوس منتصف القرن الخامس الهجري (150هـ) من أب عفيف القلب و اليد يغزل الصوف فقد كان والده السبب الرئيسي في المكانة التي أصبح عليها الغزالي اليوم، لأنه كان دائما يدعو الله بأن يرزقه أولادا يجلسون مجالس الفقهاء و الوعاظ و يعلمون الناس أمور دينهم، و عندما توفي والده أوصى صديقه بأن يهتم به وبأخوه و بأن يعلمهما و يفقههما، و كان صديق والده متصوفا، فعمل على وصية والدهما، إلا أنه عندما ضاق به الحال أرسله و أخوه إلى مدرسة تقدم العلم و الكساء و الغذاء لطلابها بذلك كان الغزالي يقول ذاكرا صنيع صديق والدهما: " طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله "، و لقد قرأ أبو حامد الغزالي في صباه طرفا من الفقه ببلدة طوس ثم سافر إلى جرجان و أخذ عن أبي نصر الإسماعلي، ثم رجع إلى طوس، فأقام بها حتى رحل إلى نيسابور لازم إمام الحرمين الجويني و مجد في طلب العلم فبرع في الفقه و الجدل و المنطق و الفلسفة كما فقه في كلام و مناقشة أهل تلك العلوم، و في أثناء عودته إلى وطنه من رحلة سفره من دمشق ألف كتابه "إحياء علوم الدين" و المكون من أربعة أجزاء، و من ثم عاد إلى خراسان و انقطع للعبادة و أثر العزلة حرصا على الخلوة و تصفية القلب للذكر، و عندما رجع إلى طوس قام ببناء مدرسة للفقهاء و خاتقاه للصوفية فكان يوزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن و مجالسة الصوفية و تدريس طلبة العلم و إدامة الصلاة و الصيام و سائر العبادات، حتى توفي في الرابع عشر جمادى الثانية سنة 505هـ و لقد ألف العديد من الكتب نذكر منها :

- كتاب تحافت الفلاسفة .

- كتاب المستصفي في علم الأصول .

- كتاب المنقذ من الضلال.

- كتاب جواهر القرآن .

³ - بدوي طبانة: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي" مع مقدمة في التصوف الإسلامي و دراسة تحليلية لشخصية الغزالي و فلسفة في الإحياء"، ج1، (د.ط، كرباطة فوترا سماراغ إندونيسيا، د.ت)، ص 7، 23.

- ابن عربي¹ .

هو أبو بكر مُجَّد بن علي محي الدين الحاتمي الطائي، ولد في السابع عشر من رمضان عام 570 هـ بمدينة "مرسيه" و كان يعرف في الأندلس بإسم "ابن سراقه" و في الشرق "ابن عربي" رحل إلى إشبيلية عام 568 هـ، مكث فيها ما يقرب ثلاثين عاما و لم يكن بقاؤه فيها عبثا بل استطاع خلال مكوثه فيها أن يلم بكل علوم الفقه و الحديث حيث أتم دراسته في هذين الفرعين في مدينة تدعى "سبته" و من ثم سافر إلى تونس عام 598 هـ ثم إلى المشرق فزار مكة سنة 601 هـ ثم بغداد ثم حلب و الموصل وآسيا الصغرى، ثم كانت نهاية رحلته في دمشق حيث توفي بها و دفن عام 638 هـ في سفح جبل ماسيون، و قد ولد ابن عربي في ضوء سلطة دينية تقية ورعة مال أعضاؤها إلى طريق الزهد و التصوف و هذا الذي ساهم في نشأته أيضا، و يتطلب الوصول للطريق الصوفي على رأي ابن عربي، أنه على المرید أن يكون زاهدا لأنه مقام أساسي من مقامات التصوف، و أن يقلل في طعامه و هذا دون أن يضر بجسمه، و أن المتصوف الحقيقي لا يؤتى ثماره إلا في الخلوة و البعد عن الآخرين، كما أنه يولي أهمية كبيرة لوجود شيخ و مرشد للمريد، وضع ابن عربي للخلوة شروط وهي :

1- القعود في بيت مظلم ضيق.

2- المداومة على الوضوء .

3- المداومة على الذكر و هي كلمة " لا اله الا الله".

4- تفرغ الخواطر عن جميع الشواغل.

5- المداومة على الصوم.

6- الداومة على قلة الكلام.

7- المراقبة لطلب الهمة و المعاونة.

8- ترك الإعتراض على الله تعالى لحصول القبض و البسط و الأمل و الراحة و الصحة و السقم.

¹ - فيصل بدير عون، المرجع السابق، ص 265، 316.

9- إنقطاع النظر عن كل ما سوى الله تعالى .

10- الصبر على الشدائد.

و يسبق هذا كله عنده أن يكون ذا إرادة بتصميم القلب و إصرار الجوارح كلها على طلب الحق و الإلتجاء إليه و إمتلاء الجوارح به و تخليها عن كل ما سواه، و لقد ألف ابن عربي ما يقارب نحو 289 كتابا و رسالة على حد قوله في مذكرته نذكر، منها :

- كتاب الفتوحات المكيّة في معرفة أسرار المالكية و المكيّة.
- كتاب ترجمان الأشواق و مشكاة الأنوار فيما يروى عن النبي ﷺ من الأخبار.
- كتاب حلية الأبدال.
- كتاب المصباح في الجمع بين الصحاح في الحديث.

المطلب الخامس : المدارس و الطرق الصوفية

تعددت المدارس و الطرق الصوفية و إنتشرت في شتى بقاع العالم، و نحن في إطار هذا تطرقنا إلى ذكر بعض المدارس و أهم الطرق الآتي بيانها في فروع هذا المطلب.

الفرع الأول : المدارس الصوفية

أولاً- المدرسة الحجازية¹: أثرت البيئة و الطبيعة الصحراوية القاسية تأثيرا كبيرا على سكان المنطقة مما أدى إلى تكوين هؤلاء السكان بطابع هذه البيئة فأصبحو ذو أنفة و عزّة و إعتداد بالنفس فغرست فيهم الفصاحة و اللغة الشعرية الأصلية و ظلّت هذه الصفات عندهم إلى وقت ظهور الإسلام الذي سطع على ربوع مكة و المدينة فصارتا ذا شان كبير، فظهرت على إثره مدرستان إحتوتا على العلوم الدينية و الصوفية ذات الطابع العربي الأصيل : و هما : المدرسة المكيّة و مدرسة المدينة، و نتيجة للصراع الذي شهدته المدرستين منذ مقتل عثمان بن عفان و تولي معاوية الخلافة

¹ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المذاهب الصوفية و مدارسها، (ط: 2، مكتبة مديولي القاهرة، 1999 م)، ص 143،136.

ظهرت مدرسة جديدة على يد " علي بن الحسين زين العابدين " و هي : المدرسة الصوفية و التي تطورت بعد إنتقالها من الحجاز إلى العراق حيث هيئت لها الظروف و المناخ الملائم .

ثانياً- المدارس العراقية¹: إنتقلت المدرسة الصوفية من الحجاز إلى العراق حيث وجدت المناخ الدائم لها و يرجع هذا إلى عدة أسباب هامة² منها :

- قيام الحضارات القديمة في بلاد الرافدين و التي تحمل الكثير من العلوم.
- ظهور الفلسفات و أفكار مختلفة حملها أسرى الحروب من اليونان و الفرس الذين حملوا فكرة الحياة الروحية.
- تأثر الحياة الفكرية بالفتن و الصراعات و الأحداث التي حدثت منذ مقتل عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و طلحة بن الزبير و الحسن بن علي، و لهذه الأسباب سارعت المدرسة الصوفية لفتح مدارسها الفرعية و من أهم هذه المدارس الفرعية³ نذكر :

1- المدرسة الكوفية: و التي حملت مشعل الحركة العلمية الجديدة و الفريدة من نوعها و هي قراءة القرآن و حفظه و تدبره و تفسيره، و دورها في حركة الحياة الروحية مع هذه الحركة العلمية و بذلك طُورت الحياة الروحية و المتمثلة في "الزهد" في ذلك الوقت إلى التصوف المعتدل الذي لا مبالغة فيه .

2- المدرسة البصرية: و التي شاركت بنصيب كبير في تطوير الحياة الروحية و أول معلم لها هو "أبو موسى الأشعري" و تسمى "بالمدرسة الأم" فقد جذبت إليها العديد من الطلاب من أرجاء الدولة الإسلامية، و التي من بعد طوّرها " الحسن البصري " فبنى فيها علما جديدا و هو "علم إرادة النفس الإسلامية".

¹ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق، ص 136، 143.

² - المرجع نفسه، ص 144، 145.

³ - المرجع نفسه، ص 149، 159.

3- المدرسة العدوية: أسستها " رابعة العدوية " على قواعد فريدة جديدة دعت ب"مدرسة الحب الإلهي"، فجعلت من الحياة أنشودة سماوية تهتف بحب الله .

4- المدرسة البغدادية : تعد إمتدادا لمدرسة رابعة العدوية في البصرة و قام أئمة هذه المدرسة بمزج الحب الإلهي مع عامل الولاية و جعلوا منها عاملا واحدا و التصوف الإسلامي في هذه المدرسة ظاهرة دينية فريدة لتربية المسلمين ذوقية وجدانية تسمى القلب و الروح قبل الجوارح، و من الناحية العلمية هو علم تطبيقي مرتبط بمجاهدة النفس، و قد حاولت المدرسة توحيد علوم الفقه مع علوم الصوفية في علم واحد¹.

ثالثا- المدارس الشامية² : ساهم السكان الجدد الذين نزحوا إلى أرض الشام و بيئتها الطبيعية ذات المناخ المعتدل في إقامة نخضة علمية و مدارس لعبت دورا هاما في تاريخ المنطقة كلها و التي بين جدران هذه المدارس ظهر العديد من العلماء العظماء و الذين قادوا المنطقة إلى منطقة علمية لعبت دورا في تاريخ الإنسانية في العصور القديمة كما ظهرت المراكز خاصة في : صور و أنطاكية و صيدا و بيروت و دمشق و حمص، و التي فيها ظهرت المذاهب الفلسفية اليونانية و النظريات الفقهية الرومانية و ظهرت مع هذه المدارس الحركة الروحية في بلاد الشام و بدأ الناس يتعرفون على منهجها و من هذه المدارس نذكر:

1- المدرسة الدمشقية: هي أولى المدارس التي أنشئت في بلاد الشام و اتخذت من المساجد ركنا لها فكانت تقام حلقات دراسية فيها و وضعت هذه المدرسة منهجا دراسيا يتلاءم مع طبيعة ونوعية التصوف في بلاد الشام.

2- مدرسة الشريعة الاسلامية.

3- مدرسة أبي الدرداء الانصاري: بالرغم من أن هذه المدرسة غلب عليها التصوف إلا أنها إستمدت أصولها من الكتاب و السنّة و سارت على ما سارت عليه المدرسة الدمشقية، إلا أنها اختلفت عنها في التأثير الكبير الذي لعبته الحياة في بلاد الشام .

¹ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المرجع السابق، ص 159.

² - المرجع نفسه ، ص 158، 160.

4- مدرسة أبي سليمان الداراني: تطورت في هذه المدرسة الحياة الروحية من فكرة العبادة إلى أساس روحي أعمق و أكثر معرفة بالذفس الإنسانيّة.

رابعاً- المدارس المصريّة¹ : كانت مصر مهد الحضارة القديمة و الوارثة لحضارة اليونان و الرومان وبها المذاهب الفلسفية و الطوائف الدينية و ملتقى للآراء الشرقية و الغربية إضافة إلى المزيج المختلط فيها من السكان، و منها أصبحت مركزاً علمياً في الدولة الإسلامية، و نتيجة لهذا عدّ التصوف المصري بصفة عامة أحسن أنواع التصوف المعتدل الذي لا تشوبه شائبة و يستمد أصوله من الكتاب والسنة و أشهر المدارس الصوفية التي إنتشرت في مصر لدينا:

1- المدرسة الرفاعية.

2- المدرسة القنائية.

3- المدرسة البدوية.

4- المدرسة الشاذلية.

خامساً- المدارس الصوفية في المغرب العربي².

ساهمت هذه المدارس بنصيب بالغ في نشر الإسلام في داخل القارة الإفريقية كلها فلم يقتصر دورها على الدعوة الإسلامية بل ساهمت في تجهيز الجيوش لمقاتلة الغزاة و الوقوف في وجه الأفكار الوافدة إلى المنطقة و من هذه المدارس نذكر:

1- المدرسة القيروانية.

2- المدرسة المرابطية.

3- المدرسة الشيشية.

4- المدرسة المختارية.

5- المدرسة الجيلانية.

6- المدرسة السنوسية.

7- المدرسة السودانية.

¹ - عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المرجع السابق ، ص 165،167.

² - المرجع نفسه ، ص 177،181.

الفرع الثاني : أهم الطرق الصوفية

تعددت الطرق الصوفية و كثرت و نحن و في إطار هذا سنتطرق إلى أهم كبريات هذه الطرق مع ذكر أهم العقائد التي تبنتها كل طريقة و من أهم هذه الطرق، نذكر:

أ- **الطريقة القادرية**¹: مؤسسها و منشئها عبد القادر الجيلاني فيقول: " و يجب على المبتدئ في هذه الطريقة الإعتقاد الصحيح الذي هو الأساس فيكون على عقيدة السلف الصالح"، و مما يقول به: الأوراد و السماع و التوكل الصوفي و الفقر و صلوات الأيام و الليالي و غير ذلك و قد اعتبرت بدعة علمية، و الميزة العظمى لهذا الشيخ هي إعتقاده الصحيح و رده على أهل البدع و لقد ابتعد أتباع هذه الطريقة على منهج شيخهم، و القادرية لها فروع في اليمن و الصومال و مصر و الهند و المغرب و السودان الغربي منها: اليافعية، النابلسية، الرومية و العروسية، و ممن ينتسب إليها من علماء التصوف: عبد الغني النابلسي و الذي صرح بوحدة الوجود.

ب- **الطريقة الشاذلية**²: نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله المغربي، الزاهد، الضرير، الشاطبي مؤسس "حزب البر" الشهير "بالحزب الكبير" إضافة إلى العديد من الأحزاب الأخرى، و قد زعم في حزبه هذا: " أن ما كتب من حرف إلا بإذن من الله و رسوله"، و من شيوخ الطريقة الكبار و الذين نذكر منهم:

أ- أحمد بن عطاء الإسكندري الشاذلي.

ب- عبد الوهاب الشعراي .

ج- يوسف النبھاني .

يقول الباحثون أن الطريقة الشاذلية هي أكثر طرق التصوف إنتشارا و أكثرها إتباعا، و من فروعها نذكر: الحصافية، الفيضة، السالمية و غيرها .

¹ - عبد الله دجين السهلي: الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها و آثرها، (ط: 1 ، دار كنوز اشبيليا الرياض، 1426هـ 2005 م)، ص 84،86.

² - عبد الله دجين السهلي، المرجع السابق، ص 86،88.

ج- الطريقة التجانية¹: مؤسسها أبو العباس أحمد بن مُحمَّد مختار التجاني و يسمّون "بالأحباب" يزعم مؤسسها أنه ينتسب إلى آل البيت، و قد أخذ عدة طرق صوفية منها الطريقة الرفاعية و الطريقة الخلوتية، و من أشهر التجانيين: علي بن حزام ت 1317 هـ، و تنتشر في شمال إفريقيا و غربها.

رابعاً- الطريقة الرفاعية²: تنسب إلى أحمد علي الرفاعي المغربي و تسمّى بالبطائحية نسبة للبطائح والأحمدية نسبة إلى شيخهم الأول، من فروعها: البازية و الملكية و الحبيبية و غيرها.

خامساً- الطريقة النقشبندية³: تنسب إلى مُحمَّد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري، كما تنسب إلى أبي يزيد البسطامي و لا يخفى أنّها ظهرت في القرن الثامن الهجري، لها فروع في الصين، تركيا و بعض بلدان آسيا الوسطى و الهند و جاوة و من أسماء هذه الفروع: الصديقية و خوجكانية.

سادساً- الطريقة الختمية⁴: مؤسسها مُحمَّد عثمان بن مُحمَّد أبو بكر الميرغي المحجوب و يلقب "بالختم" أي خاتم الأولياء، كما تسمّى بالطريقة الميرغية، و كانت إمتداد لكل الطرق الآتية: القادرية، الجنيدية و النقشبندية و الميرغينية و الشاذلية و الإدريسية و لذلك إعتبرت خاتمة الطرق و من أعلامهم نذكر: ابن المؤسس الحسن بن مُحمَّد عثمان، و تنتشر هذه الطريقة في شمال السودان و شرقه و جنوب مصر و الحجاز و قد حظيت الختمية برعاية الدولة العثمانية، و إزدهرت في ظل رعايتها.

خلاصة: هذا فيما يخص أهم المدارس التي تبنت الصوفية و الطرق التي نشأت على إثرها، و قد رأينا أن معظمها يخالف الإسلام خاصة في الجانب العقائدي، و ذلك عائد إلى تأثر هؤلاء بمؤثرات خارجية معادية للإسلام و أهله.

¹ - المرجع نفسه ، ص 95،97.

² - عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المرجع السابق ، ص 89،90.

³ - المرجع نفسه، ص 91،92.

⁴ - عبد الله دجين السهلي، المرجع السابق، ص 92،94.

المطلب السادس : آثار التصوف الإسلامي و موقف بعض العلماء من التصوف ومدارس البحث فيه

خلال هذا المطلب سوف نبين كيف أثر التصوف الإسلامي على الفكر الإسلامي مع تطرقنا إلى عرض موقف البعض من العلماء من التصوف و إلى المدارس التي قامت بدراسته و البحث فيه.

الفرع الأول: أثر التصوف على الفكر الإسلامي

لقد أثر التصوف الإسلامي على الفكر الإسلامي بشكل كبير¹، فقد عد التصوف أروع صفحة تتجلى فيها روحانية الإسلام، و تفسير علمي لهذا الدين، فيها إشباع للعاطفة و تغذية للقلب، في مقابلة للتفسير العقلي الجاف الذي وضعه المتكلمون و الفلاسفة و التغير الصوري القاصر الذي وضعه الفقهاء و يعتبر التصوف هو الثورة الروحية في الإسلام، لأنه كان إنقلاباً عارماً على الأوضاع و المفاهيم الإسلامية كما حددها الفقهاء و المتكلمون و الفلاسفة، و هو الذي بث في تعاليم الإسلام روحاً جديدة أدرك مغزاها من أدركه، و أساء فهمها من أساءه و رغم هذا فقد أدخل التصوف بعض العقائد و الظواهر الجديدة في داخل أوساط المجتمع الإسلامي مثل ظاهرة بناء المساجد على القبور و بناء القباب على قبور الأولياء المنتشرة في العالم الإسلامي إنتشاراً واضحاً كما بيّنا سابقاً عند التطرق إلى الطرق الصوفية و التوجه إلى هذه القبور بالدعاء و الإستغاثة و النذور.

و تعطيل الأمر بالمعروف و التّهي عن المنكر في الحياة العامة و الذي يعد من أهم الواجبات الواجبة على المسلم، فلقد أنكر المتصوفة المنكر على أوليائهم و بأن كل ما يقومون به هو من أمر الله.

و إنتشار الأذكار و الأدعية و الصلوات المبتدعة فقد أثرت هذه الأذكار و الأدعية و الصلوات على الأمة الإسلامية، و خاصة الذين إنضموا إلى الطرق الصوفية و إعتنقوها، و على العامة من الناس الذين لا يميزون بين الحق و الباطل، فأصبحوا يتلون هذه الأذكار معرضين بذلك عن قراءة القرآن و الذكر و الدعاء الذي جاء به النبي ﷺ .

¹ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 54، 57.

الفرع الثاني : موقف بعض العلماء من التصوف

بعد إنحراف التصوف الإسلامي و تحلله عن الشريعة الإسلامية و تأثيره فيها و في الفكر الإسلامي إتخذ علماء المسلمين موقفا منه و الذين نذكر منهم:

- **قول ابن تيمية:** ناقش شيخ الإسلام آراء المتصوفة و عقائدهم و أقوالهم بعد أنّ تعرض إلى تعريفهم و أصول أعرافهم و كيفية تأثيرهم بالفلسفة و ذكر مصادرهم و رجالها و أشهر فرقها و الفروق بينها و مصادر هذه الفرق في التلقي مع مناقشة معتقداتهم و بيان بطلانها مستدلا بأقوالهم و هذا من خلال كتابه مجموع الفتاوى¹.

- **قول ابن خلدون:** هذا العلم من علوم الشريعة الحادثة في الملة و أصله أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة و كبارها من الصحابة و التابعين ومن بعدهم طريقة الهداية والحق و أصلها العكوف على العبادة و الإنقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة و كان ذلك عاما في الصحابة و السلف، فبيّن ابن خلدون كيف كان مفهوم التصوف قبل أن ينقلب حاله و تدخل فيه مفردات جديدة كالحقيقة المحمدية و الحلول و الأقطاب و غيرها أخرجته عن مفهومه².

- **قول ابن الجوزي:** إن التصوف عندهم رياضة النفس و مجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة و حمله على الأخلاق الجميلة من الزهد و الحلم و الصبر و الإخلاص و الصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا و الآخرة، و أن هذا كان حال أوائل القوم قبل أن يلبس عليهم إبليس في معتقداتهم هذه آراهم أن الطريق المقصود هو طريق العمل فقط فتخطبوا

¹ - أبو الخير تراسون، المرجع السابق، ص 32.

² - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحق: عبد الله محمد درويش، ج2، (ط:1، دار البلخي و مكتبة الهداية دمشق، 1425 هـ - 2004 م)، ص 225.

بسبب ذلك في الظلمات إلى أن تمكن منهم أشد التمكّن فأخرجهم عن طريق العلم و لقد
وضح ابن الجوزي قوله هذا بالعديد من الأمثلة التي تبين خروجهم عن المغزى السابق للتصوف¹.

الفرع الثالث : المدارس الباحثة في التصوف الإسلامي

خضع التصوف الإسلامي كما خضعت مباحثه لأبحاث علمية و دراسات كانت معظمها من الغرب
الأوروبي و هذا لعدم تفكير العالم الإسلامي بهذا فما يقدمه فيه مجرد مباحث مبنية على القدرات
الفكرية الفردية، على غرار العالم الأوروبي فقد أقام مدارس مختلفة، كبيان الصلة بينه و بين ما ذكرنا
سابقا من انتماءه في نشأته و مصدره إلى ديانات و فلسفات مختلفة أخرى كاليهودية أو إلى أغراض
استعمارية لأجل إظهار المسلمين في صورة غير لائقة و هذا ما سنجدّه فيما سوف نعرضه و نتطرق
له من هذه المدارس.

أولا - المدرسة الألمانية² : و هي مدرسة تكاد تكون فيلولوجية فقد فسرت التصوف عن طريق
تحليل مصطلحاته و تعبيراته فيلولوجيا و إبتيمولوجيا و مترأسها هو "هوفون هامر" فحاولت هذه
المدرسة معرفة أصل التصوف عن طريق تحليل الكلمة تحليلا لغويا، إذا كانت أتت من الكلمة اليونانية
أو من اللغة السنسكريتية أو هي عربية، و هذا لأجل أن تعطي له أصله فقالوا أنّ كانت أخذت من
اليونان فأصله يوناني وأن كانت أخذت من السنسكريتية فأصلها هندي وإن كانت من العربية
فأصلها عربي.

ثانيا - المدرسة الإنجليزية³ : ترأس هذه المدرسة براون ثم تابعه نيكلسون و تلميذه أرتجون إيربي
حيث حاولت تفسير التصوف على أنه ظاهرة من الظواهر الجزئية للتصوف العام، فهو عام مشترك
بين مختلف الجماعات الإنسانية فقدمت هذه المدرسة للتصوف الإسلامي خدمات جلييلة، فقد
قامت بنشر العديد من المخطوطات و حققتها تحقيق علميا، كما قامت بنقل عددا من الكتب
الصوفية و ترجمتها من اللغة الإيرانية إلى اللغة الإنجليزية.

¹ - ابن الجوزي، المرجع السابق، ص 157، 158.

² - علي سامي النشار ، المرجع السابق ، ص 23.

³ - المرجع نفسه، ص 23، 24.

ثالثا - المدرسة الفرنسية¹: أو كما تسمى " مدرسة التفسير الروحي المسيحي للتصوف الإسلامي " بدأت هذه المدرسة باعتبار الحركة الصوفية الإسلامية حركة روحية و لكنها إمتداد لرسالة المسيح في العالم الإسلامي، و كل أبحاث هذه المدرسة إعتبرت قطعا خالصة و لكنها خالية من التركيب و التحليل العلميين و أهم ممثل لهذه الدراسات الروحية عند المسلمين "لويس ماسينون" و هذا لما قدم من أبحاث كثيرة في التصوف و خاصة في كتابة المشهور "آلام الحلاج" و كتبه الصغرى و مقالاته المتعددة.

رابعا - المدرسة الاسبانية²: هي مدرسة كاثوليكية بحتة، حاولت أن تجد المسيحية في أصول التصوف الإسلامي، فلقد قدمت دراسات قيمة عن المنهج المقارن "المؤثر و المتأثر" وعن التأثير بين التصوف المسيحي، حيث خلصت أن التصوف الإسلامي تأثر بالمسيحية ثم أثر فيها، و ممن يرى بهذا من أصحاب هذه المدرسة الأب الكاثوليكي "آسين بلاسيوس" و يقول: إن الدليل في هذا متمثل في الرهبان المسيحيين المنتشرين في العالم الإسلامي و قد توج الأب الكاثوليكي أبحاثه ببحث عن "أثر محي الدين بن عربي و صوفية الأندلس".

خلاصة : ممّا سبق نقول أن الأثر الذي أحدثه التصوف الإسلامي على الفكر الإسلامي خاصة و الشريعة الإسلامية عامة قد جذب إليه أنظار العلماء من المسلمين و إتخذه لموقف منه و أنظار المستشرقين و المدارس الأجنبية و الذين قاموا بدراسته دراسة معمقة لأهداف و غايات خاصة بكل واحد منهم.

¹ - المرجع نفسه، ص 25، 26.

² - المرجع نفسه، ص 27، 28.

ملخص المبحث :

من خلال ما تطرقنا إليه من دراسة للتصوف الإسلامي إتضح لنا جلياً أنّ التصوف مرّ بالعديد من المشكلات و المعضلات ليصل إلى ما هو عليه، و التي منها ما لم يجمع عليها العلماء إلى حد اليوم و هذا ما تبين لنا من خلال ما توصلنا إليه أثناء دراستنا فقد اختلف فيه : في الأصل الذي اشتق منه و في بدء ظهوره كمصطلح و في معناه اللغوي أيضا رغم تداخل بعض الأقوال مع من قال بالأصل الذي اشتق منه، أمّا في معناه الإصطلاحي فقد عرّف التصوف بالعديد من التعريفات و التي لا تعد و لا تحصى و التي نذكر منها تعريف الكتاني له: " التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء"، و على هذا الأساس بُنيت العديد من المعتقدات و المبادئ الخاصة به كالمقامات والأحوال و الأولياء و الكرامات و غيرها، و لقد برزت فيه و منه العديد من الشخصيات و التي على إثرها إنبثقت منها العديد من المدارس و الطرق التي تبنت معتقداته و مبادئه و عملت جاهدة على أخذها و تطويرها و نشرها في محيطها، و لم يخل التصوف من الإنتقادات و إتخاذ البعض من علماء المسلمين موقفاً منه، نتيجة لما دخل عليه من المغالطات و الأفكار التي شوهته و أثرت بدورها على الفكر الإسلامي - مما دفع بالعديد من الذين إتخذوه منهجاً و طريقاً يسرون عليه و يتعدون عن هدي الله و سنة رسوله ﷺ - و إخراجهم عن المبدأ الصحيح الذي جاء به: " و هو الوصول إلى الحقيقة الإلهية عن طريق تزكية النفس البشرية بتحليلتها بالفضائل و تحليلتها من الرذائل"، و نظراً لما بلغه من مكانة و شأن كبيرين في التأثير على الفكر الإسلامي خاصة و الفكر الغربي عامة، دفع العديد من المستشرقين و المدارس الأجنبية إلى دراسته و لكن كل حسب غايته و هدفه.

المبحث الثاني : الرهينة

المطلب الأول: تعريف الرهينة

المطلب الثاني: مصادر الرهينة قبل ظهورها في المسيحية

المطلب الثالث: الرهبانية المسيحية نشأتها و تطورها و أسباب ظهورها
وانتشارها

المطلب الرابع: مبادئ و أسس الرهبانية

المطلب الخامس: أصل الرهينة المسيحية

المطلب السادس: أهم مؤسسو الرهبانية المسيحية

المبحث الثاني : الرهينة

تمهيد:

الرهينة نظام ديني يسعى من خلاله الراهب و المتعبد إلى تحرير روحه ليصل إلى محبة ربه و رضاه ونحن في إطار مطالب هذا المبحث سوف ندرس أهم ما تعلق بها من المفاهيم و الأسس و المبادئ وغيرها.

المطلب الأول: تعريف الرهينة

الفرع الأول: التعريف اللغوي

تعددت التعريفات اللغوية للرهينة و التي نذكر منها ما يلي:

- أبو بكر الحسن بن دريد: "رَهَبَ الرَّجُلُ يَرْهَبُ رَهَبًا وَ رَهَبًا، إِذَا خَافَ وَ مِنْهُ إِشْتِقَاقُ الرَّاهِبِ وَ الْإِسْمُ الرَّهْبَةُ".¹
- الفيروزآبادي: "رَهَبَ، كَعَلِمَ، رَهْبَةً، وَ رُهَبًا بِالضَّمِّ وَ الْفَتْحِ وَ بِالْتَحْرِيكِ وَ رُهَبَانًا، بِالضَّمِّ وَ يَحْرُكُ خَافَ وَ الْإِسْمُ الرَّهْبِيُّ وَ يُضَمُّ وَ يُمْدَانُ، وَ الرَّهْبِيُّ، وَ أَرْهَبُهُ وَ اسْتَرْهَبْتُهُ: أَخَافُهُ وَ التَّرَهَّبْتُ: التَّعَبَّدُ وَ الرَّاهِبُ وَاحِدٌ زُهَبَانَ النَّصَارَى وَ مَصْدَرُهُ الرَّهْبَةُ وَ الرَّهْبَانِيَّةُ أَوْ الرَّهْبَانُ بِالضَّمِّ قَدْ يَكُونُ وَاحِدًا، ج: رَهَابِيْنٌ وَ رَهْبَانِيَّةٌ وَ رَهْبَانُونَ".²
- ابن منظور: رَهَبَ، بِالْكَسْرِ، يَرْهَبُ رَهْبَةً وَ رُهَبًا بِالضَّمِّ، وَ رَاهِبًا بِالتَّحْرِيكِ، أَي خَافَ وَ رَهَبَ الشَّيْءَ رَهَبًا وَ رَهَبًا وَ رَهْبَةً: خَافَ وَ الرَّاهِبُ: الْمُتَعَبَّدُ فِي الصُّومَةِ، وَ أَحَدُ زُهَبَانَ النَّصَارَى وَ مَصْدَرُهُ الرَّهْبَةُ وَ الرَّهْبَانِيَّةُ وَ الْجَمْعُ زُهَبَانٌ، وَ قَدْ يَكُونُ الرَّهْبَانُ وَاحِدًا وَ جَمْعًا وَ الرَّهْبَانِيَّةُ: مَصْدَرُ الرَّاهِبِ وَ الْإِسْمُ الرَّهْبَانِيَّةُ وَ أَصْلُ مِنَ الرَّهْبَةِ: الْخَوْفُ".³

¹ - أبو بكر الحسن بن دريد: **جمهرة اللغة**، تحقق: رمزي منير بلعلبي، ج 1، (ط:1)، دار العلم للملايين بيروت - لبنان 1987م)، ص 332.

² - الفيروزآبادي، المرجع السابق، ص 92.

³ - ابن منظور : **لسان العرب**، ج1، (د.ط، دار صادر بيروت، د.ت)، ص 436، 438.

- قال ابن فارس: الرء و الهاء و الباء أصلان : أحدهما يدل على حَوْفٌ و الآخر على دقة و حَفَّة فالأول: الرَّهْبَةُ تقول: رَهَبْتُ الشيءَ رَهْبًا و رُهْبًا، و التَّرَهُّبُ بمعنى التَّعَبُّد¹.

خلاصة: من خلال ما سبق نستنتج أنّ مصطلح الرهينة له معنيين و هما: الخوف والتَّعَبُّد.

الفرع الثاني : التعريف الإصطلاحي

رغم تعدد التعريفات الإصطلاحية للرهينة إلا أنّها معظمها تصب في قالب واحد و من هذه التعريفات نذكر:

- يقول مُجَدُّ عزت الطنطاوي: " أن الرهينة هي الإبتعاد عن ضجيج الحياة و الحرمان من لذيذ العيش، و تعذيب الجسم بلبس الخشين من الثياب و التبتل و عدم الزواج، و العكوف على العبادة تمثلاً بالمسيح الذي بذل نفسه للدعوة من أجل البشر"².

- و يقول أحمد شلبي: " و جاء معنى الرهينة و ظهر بعد عصر الإضطهاد الذي شاهدوا فيه صنوفا من التعسف و القسوة و كان ذلك تدريباً على التضحية و حب الفداء و لذا فقد تحسر بعض المسيحيون بعد عهد الحرية لأنهم لم يستطيعوا أن يضحوا بدمائهم لذا لجأوا إلى الإنعزال والإنفرد في الجبال و البراري و غيرها بترك الحياة وراءهم فقاموا بتعذيب أنفسهم و بلبس الخشن من الثياب و التبتل و عدم الزواج و عكفوا على العبادة كتعويض منهم لما فاتهم و تقديراً للسيّد المسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر و بخاصة أنّهم أدركوا بطلان هذا العالم و خداع مظهره الخلاب"³.

- و جاء في قول رؤوف حبيب: أن الرهينة هي الزهد و التّنسك و الإنعزال و الإنفرد بقصد التبتل و العبادة مع إختيار الفقر طوعاً⁴.

- قال أحمد علي عجيبية: الرهينة عند النصارى لا تخرج عن المعاني السابقة غير أنّهم أضافوا أنّ

¹ - ابن فارس، المرجع السابق، ج2، ص 447.

² - مُجَدُّ عزت الطنطاوي: الميزان في مقارنة الأديان، (ط:1، دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت، 1413 هـ - 1993 م) ص 299.

³ - أحمد شلبي: المسيحية- مقارنة الأديان2-، (ط:10، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1998 م)، ص 244.

⁴ - رؤوف حبيب: تاريخ الرهينة و الديرية في مصر وآثرهما الانسانية على العالم،(د.ط، مكتبة المحبة، د.م، د.ت)، ص 23.

المقصود من التعذيب الذي يقوم به الراهب "العبادة والطاعة"¹.

و نذكر هنا أن الرهينة مرتبطة بما يسمى "الديرية" و هي إتقاء جماعات من الرهبان و إجتماعهم في مكان بعيد عن العمران و الإنقطاع فيه للعبادة مع تنظيم شؤونهم من حيث العبادة و تحقيق مطالبهم الضرورية في الحياة²، و تنسب الديرية إلى "الدير" و الدير هو: "البيت أو الموضع الذي يخصص لسكنى الرهبان أو الراهبات و الإلتجاء إليه للتعبّد"³.

خلاصة: و من التعاريف السابقة الذكر يتبين لنا أن الرهينة سلوك فردي أو جماعي يقوم به فرد معين أو جماعة من الناس هروبا من الواقع قصد التّمسك و الزهد و التّبتل و الإبتعاد عن ملذات الحياة الدنيا وغيرها .

المطلب الثاني: مصادر الرهينة قبل ظهورها في المسيحية

لم تكن الديانة المسيحية وحدها المنفردة بما يسمّى بالرهينة، فهناك ديانات وضعية وثنية و سماوية ارتبطت بما قبلها حيث نشأت في هذه الديانات جماعات و طوائف قامت بتكريس نفسها للحياة الرهبانية المتمثلة في الإنعزال و التّمسك⁴. و من هذه الأخيرة سوف نتطرق إلى أهم الظواهر النسكية و الرهبانية لهذه الديانات قبل ظهورها في المسيحية .

أولاً ← الرهينة في الديانات الهندية:

ارتبطت النسك منذ بدايته في بلاد الهند بالمشقة و التعذيب و ذلك عن طريق حرمان الجسد من كل وسائل الراحة و اللذات، و كان الهدف منها في نظرهم التقدم الروحي حتى يصل الراهب إلى درجة إجبار المعبودات على طاعته، فمنذ الوقت الذي بدأ فيه النسك الهندي يظهر في التاريخ كان القيام بأشياء قاسية شديدة يحمل في ثناياه، و بخصوص هذا القول يقول الدكتور رالف لنتون: "و لم تقتصر حياة النسك على الباحث في الروحانيات بل شملت الأمير الذي تعب من منصبه و الزوج الذي لم يعد يطيق معاشرة زوجته أو التاجر الذي يلاحقه دائنوه فإن أي واحد من هؤلاء كان باستطاعته إن

1 - أحمد علي عجبية: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، (ط:1، دار الآفاق العربية القاهرة، 2004 م)، ص 12.

2 - أحمد علي عجبية، المرجع السابق، ص 13.

3 - رءوف حبيب، المرجع نفسه، ص 23.

4 - حكيم أمين: دراسات في تاريخ الرهينة و الديرية المصرية، (د.ط، مطبعة رمسيس الجيزة - القاهرة، 1963 م)، ص 3.

ينضم إلى صفوف الرجال المقدسين، كان يذهب إلى الغابة و يعتزل و يحيا حياة بسيطة طاهرة¹، ومن هؤلاء نذكر الذين يدينون بمبادئ كونفوشيوس صاحب الديانة الكونفوشية، و بوذا صاحب الديانة البوذية فهما أول من فكر في العيشة الإنفرادية و إذلال الجسد و كبح جماحه في طرق في منتهي القسوة و الخشونة، فقد تألفت منهم جماعات عديدة عاش أفرادها في كهوف و أحراش كما سكن بعضهم في مناسك المعابد والهياكل على ضفاف الأنهار المقدسة، حيث رضخوا تحت نبر ثقيل تلهبهم سياط الفرائض المرة ويضنيهم الصوم الطويل، وغيرها من الممارسات وهذه هي حياة الرهينة، ومن هذه الأخيرة استطاع رهبانهم نشر دينهم هذا في أنحاء الهند والصين واليابان وغيرها من البلدان إلى إن وصل إلى أوروبا و الأمريكيتين².

ثانياً ← الرهينة في اليهودية:

سبق اليهود الأمم قاطبة معرفة الإله الحق كما إنفردوا بعبادته على الطريق السوي فخصهم بالشرعية وبعث منهم الأنبياء فهذه الميزات التي لم تتوفر لغيرهم كشفت لهم عن بطلان العالم وأمجاده الزائلة كما أثار الأنبياء حياتهم المثالية طريق السعادة و الخلود، فتعمق كثيرون في الحياة الروحية و أخذوا يبحثون عن مسالك جديدة للحياة الأبدية، ترتب عليها قيام طوائف دينية أهمها الآسينيين^{**} الذين إنتهجوا حياة الرهينة و التخلي عن مطالب الدنيا، فكانوا على دوام التطلع و إمتنعوا عن الزواج و يعيشون فيما بينهم حياة مشتركة مكتفين في غذائهم على الأغذية النباتية ممتنعين عن أكل اللحوم لأنهم كانوا يكرهون سفك الدماء، فهم لا يدخلون هيكل أورشليم بسبب ما كان الكهنة يذبحون فيه من الذبائح³، كما ظهرت في مصر فرقة يهودية أخرى سكنت بجانب بحيرة مريوط يقال لها تيراوتو أي طائفة الشفاء و كان كل من أفرادها يعيش منفردا ستة أيام الأسبوع و في اليوم السابع يوم السبت كانوا يجتمعون بنفس واحدة لإقامة الشعائر الدينية الخاصة بهم، و قد تأثرت هاتين الفرقتين بما جاء

¹ - أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص24، 17.

² - مارمينا: الرهينة القبطية، (ط:2)، مركز الدلتا للطباعة الإسكندرية، 2001 م)، ص28.

^{**} طائفة يهودية نشأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد و عاشت بعيدا عن مدينة أورشليم حيث إنفردت بمساكنها حول شواطئ البحر الميت، و معنى كلمة آسينيين هو "الأطباء" و يقال أصلها آرامي و هو كلمة "آسيا"، يقول العقاد: "و من المعقول أن يسمّى أصحاب هذا المذهب بالآسينيين لأنهم كانوا يتعاطون طب الروح ويدعون إبراء المرضى بالصلوات و الأوراد كما يدعون العلم بخصائص العقاقير". (أحمد علي عجيبة، الرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها، ص40).

³ - احمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص43.

في المصرية القديمة و الفلسفة اليونانية و بالأفكار الخاصة بالبراهمة الهنود و غيرهم و قالوا بفساد المادة التي تغلبوا عليها بالزهد و الشك و حياة الكمال¹، هذا بخصوص حياة الرهينة عند اليهود.

ثالثاً ← الرهينة في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة²:

تعتبر الأفلاطونية الحديثة بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية و دين مفلسف و هو مذهب قام على أصول أفلاطونية و تمثل عناصر من جميع المذاهب، فلسفية و دينية يونانية و شرقية بما في ذلك السحر و التنجيم و العرافة غير أن رجاله حرصوا على الإحتفاظ بالروح اليونانية الخاصة، فكانت توجد فيها مؤثرات دينية فارسية و بابلية و بقايا الشعائر المصرية القديمة و طائفة يهودية قوية تمارس عقيدتها الخاصة، و فرق مسيحية، يضاف إلى هذا كله خلفية عامة من الحضارة الهلينستية. ومن أهم مبادئها و التي تتعلق بالرهبانية نذكر:

- يدعون إلى التحرر من عبودية الجسد بالحياة النسكية التقشفية
- يقولون بمراعاة الجانب التأملي في الحياة و المناداة بأنه إذا تطهرت الروح من النزاعات العالمية و شتمت عن الدنيا و بات بإمكانها أن تصل إلى درجة من الروحانية النورانية إلى التأمل بالله.
- لن تتحرر الروح عن الملذات المادية و النزوات الدنيوية الأمن طريق التقشف و إذلال الجسد و الإعتزال عن العالم و مباهجه و الزهد فيه، فقد دعت إلى التحرر من الجسد و لا يكون هذا إلا بالإعتزال عن العالم و الشك و التقشف.
- و مما سبق نأتي الآن إلى دراسة الرهبانية و ظهورها و نشأتها في المسيحية و أثرها عليها و هل لما سبق ذكره أثر في ما جاء و نبع في المبادئ و التعاليم الرهبانية المسيحية.

المطلب الثالث: الرهبانية المسيحية نشأتها و تطورها و أسباب ظهورها و انتشارها

الفرع الأول: نشأتها و تطورها

لعبت الرهينة بأشكالها المتعددة دوراً قيادياً في تاريخ الكنيسة المسيحية إعتباراً من القرن الثالث للميلاد فصاعداً، حيث كانت الصوامع و القلاوي هي مراكز الثقافة في العصور المظلمة، فمنها خرجت بعثات التبشير بالمسيحية، و على يد نزلائها تطورت الحياة الروحية و التي تركت أعمق أثر

¹- مارمينا، المرجع السابق، ص28.

² - أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص45،46.

على العقيدة حيث يذكر المسيحيون أن الرهينة كانت لها مكانة ملحوظة في الحياة الدينية المسيحية وإنها لعبت الدور البارز في تاريخ الكنيسة، فيذكر المؤرخون المسيحيون أن حياة الرهينة بوضعها المنظم ومبادئها ظهرت لأول مرة في تاريخ المسيحية في مصر، يقول زكي شنودة: "الرهينة نظام بدأ يستهوي نفوس المسيحيين في مصر منذ الجيل الثالث للمسيح و قد توطدت نظمه و تقاليده و طقوسه على أيدي الرهبان الأوائل : أنطونيوس و باخوميوس و مقاريوس و غيرهم ممن آثروا حياة العزلة و التبتل¹ ومنه فالمصريون النصارى كانوا السبّاقين إلى حياة التنسك حيث جعلوا منها مثلاً رائعاً للحياة المسيحية الدقيقة، و الذي لا يوجد في معابد البوذيين ويتضاءل أمامه تقشف الآسيين، في وقت إمتلأت فيه البلاد بالمخازي الوثنية و تفاقمت المظالم الرومانية التي جعلت البلاد مرتعاً للغش والقتل و المذابح الدينية و العنصرية، و قد أشار السيد المسيح إلى الرهينة و لكنه لم يفرضها على أحد من الناس بل جعل الإقبال عليها حسب الإرادة و الإختيار، و لكن نظراً لظروف الإضطهادات المرّة و التي رضح تحت نيرها الأقباط في القرون الثلاث الأولى إمتلأت الأودية و المغارات و الكهوف و الأماكن المهجورة بكثير من الأتقياء و الأبرار، الذين وجدوا في الحياة الرهبانية خلاصاً من مظالم العالم ومتاعبه و راحة للضمير المتألم و طريقاً معبداً للحياة الأبدية².

لذا فقد تطورت و نشأت الرهينة على مراحل و هي:

المرحلة الأولى: تسمى هذه المرحلة بمرحلة "التوحد أو المتوحدين"، فقد بدأ الراهب فيها بالإنعزال في أماكن قريبة من المدن و الأكواخ و المغارات، ثم إنتهى إلى الإنعزال التام الكامل في جوف الصحراء أو شقوق الجبال أو في القبور المهجورة، و في هذه المرحلة لا يرى الراهب المتوحد أحد و لا يراه أحد وقد لقي هؤلاء الرهبان الكثير من المشقات و المتاعب مما كانوا يفعلون من تعذيبهم لأنفسهم و ما يمارسونه من تقشقات صعبة³.

المرحلة الثانية: تسمى بمرحلة الأنطونية نسبة إلى الأنبا أنطونيوس و في هذه المرحلة عمد الرهبان إلى العيش متقاربين، فعاش كل منهم في صومعته بمفرده يقضي نهاره في صمت و تأمل أو في الإشتغال بعمل يدوي، و قد عرفت هذه الصوامع القريبة من بعضها بإسم "الدير" فكان هؤلاء الرهبان الذين

¹ - أحمد علي عجبية: المرجع السابق، ص 62، 63.

² - مارمينا: المرجع السابق، ص 29.

³ - أميمه بنت أحمد الجلاهية: الرهينة النصرانية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، (د.ط، د.ن، د.م، د.ت)، ص 166.

يعيشون في صوامعهم بشكل منفرد، يجتمعون مساء السبت و الأحد ليشتروا في الصلاة معا ثم يعود كل منهم إلى صومعته حيث يقضي بقية الأسبوع في عزلة تامة، فجمعت هذه الرهبانية بين الوحدة والإنعزال، و خفف التجاوز هذا من قسوة التفرد و الإنقطاع.

المرحلة الثالثة: تسمى هذه المرحلة بالشركة الرهبانية أو بمعنى آخر الرهبانية و الديرية، و هي المرحلة التي صار فيها الرهبان يسكنون حول سور واحد طمعا في تعاون أكبر فيما بينهم، فتجمعهم حياة موحدة في الأكل و الشرب و الملبس و الصلاة، و يخضعون لنظام صارم دقيق موحد، إذ تقوم بينهم حياة سكونية جماعية و كما ذكرنا سابقا فهذا المكان يدعى بالدير و لأنّ هذا النظام الرهباني لم يسر وفق نظام التوحد و تدايره فقد استحدثت وظائف و صناعات لتنظيم هذه الحياة الديرية و التي بدأت في القرن الرابع الميلادي¹.

الفرع الثاني: أسباب ظهورها و إنتشارها

من الأسباب التي دعت إلى ظهور الرهبانية كما يذكرها مؤرخو المسيحية والتي أدت إلى انتشارها فيما بعد، هي:

أولاً ← أسباب ظهورها:

1. **الإضطهاد السياسي:** بدأ هذا الإضطهاد السياسي أولا عندما تعرض النصارى لأنواع من الإضطهاد و التعذيب على أيدي أباطرة الرومان، فقد أصدر الإمبراطور دقلديان في أواخر عهده عدة قرارات تدعو إلى إضطهاد النصارى، تضمنت الأمر بسجنهم و تدمير كنائسهم و حرق جميع كتبهم المقدسة و نزع ممتلكاتهم و نفيهم و إعدامهم، كما كان يرسل فريق منهم إلى المعسكرات الرومانية ليعملوا في المناجم حتى الموت، لذا فرّ النصارى إلى الوديان و قمم الجبال و الصحاري، و من الأمور الأخرى أيضا، يذكر بعض الباحثون أنّ بعض النصارى تهرب بسبب عدم قدرته على المشاركة في التضحية نتيجة الإضطهاد فقاموا بهذه التضحية بعد إستقلالهم منه بإتخاذهم لطريق التنسك و الإنعزال كتعويض لذلك يقول جون لويمر: " إنّه بعد إنقطاع الإضطهاد تمت الحاجة اللاشعورية عند بعض النصارى إلى نوع من الإستشهاد كما يسمونه نظرا لما رأوه من تقدير و إحترام لمن ماتوا شهداء و ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه، وهكذا

¹ - أميمة بنت أحمد الجلاهية، المرجع السابق، ص 166، 168.

نبتت الرهينة من رغبة للنصراني في أن يكون شهيدا"، و هكذا نال الرهبان نفوذا كبيرا وتأثيرا عميقا في نفوس جميع النصارى¹، و بخصوص هذا الأمر نختتم بما قاله د. جوزيف نسيم يوسف "إنّ حركة الإضطهادات التي صاحبت ظهور المسيحية و التي بلغت أشدها في عهد دقلديانوس كانت سببا في إضطرار الناس إلى الفرار إلى الوديان و القفار و إلى قمم الجبال و جوف الصحاري للتوحد و التعبد و التقشف"².

2. الإضطهاد الإقتصادي:

كانت الظروف الإقتصادية عاملا أساسيا من عوامل ظهور الرهبانية بين المسيحيين، و هذا بسبب ما فرضته الدولة الرومانية من ضرائب، ممّا جعل الناس تترك ممتلكاتها و أراضيها و هروبهم إلى الصحراء أين وجدوا فيها الملاذ و هذا ما أدى ببعضهم إلى حياة اللصوصية و أدى بالبعض الآخر إلى حياة الترهين و التنسك التي وجدوا فيها الأمن رغم ما فيها من عيش على الكفاف، يقول جون لويبر "ومع أنّهم أصبحوا جميعهم رهبانا إلا أنّ ندرة فرص العمل في الأماكن المأهولة بالسكان شجعت الكثيرين على أن يجربوا حياة الرهينة في الصحراء و في الجبال"، و إذا كانت ضرائب الدولة الرومانية سببا أساسيا في إعتزال بعض المسيحيين الحياة و هروبهم إلى الصحراء، فإنّ القانون الذي وضعه قسطنطين في إعفاء الرهبان من الخدمة العسكرية و إعفاء غير المتزوجين من الضرائب دفع أيضا بالمسيحيين إلى إتخاذ طريق الرهينة و حياتها، تقول المؤرخة المسيحية بتشر في هذا السياق: "و أول باعث على هذه الرهينة هو القانون الذي وضعه قسطنطين سنة 320 م وفيه يعفى العزاب و الذين بلا نسل من دفع الضرائب المفروضة على غيرهم، و هذا القانون حذا بالكثيرين من محبي النفس و المال إلى الإمتناع عن الزواج بل يساعدهم على الشر و الفساد، إذ جاء في فقرة أخرى منه أنّ اللقطاء يربون على نفقة الحكومة، و منها أنّ الرهبان كانوا يعفون من الخدمة العسكرية في مدة حكم قسطنطين"³.

و من هذا نقول أنّ الفرار من الدّين لم يكن السبب الكامن وراء رهينة المسيحيين وحدة بل حتى ندرة العمل و الخوف من سلطة القانون و قسوة جباة الضرائب و الطمع في الإحتفاظ بالمال و الرغبة في التخلص من الواجبات العامة و كل هذا هو ما دفعهم إلى إتخاذ الرهبانية وظيفة لهم.

¹ - المرجع نفسه، ص 163.

² - أحمد علي عجبية، المرجع السابق، ص 68.

³ - المرجع نفسه، ص 66.

3. فساد النظام الكنسي:

يرجح البعض من الباحثين أنّ ظهور التنسك عند المسيحيين ماهو إلاّ احتجاجا على ما طرأ على الكنيسة النصرانية من آراء دخيلة فقد أضحت أغنى الهيئات الدينية في الإمبراطورية، و خفت من هجماتها على الثراء، فالأساقفة يتولون مناصب في الدولة تدرّ عليهم المال الكثير، فأثروا و أقرضوا بربا فاحش و تناحر القساوسة على المناصب العليا للكنيسة، لذا فقد رغب البعض منهم بالإبتعاد عن كل طاعة للشهوات البشرية و تطالب بالإستمرار في الإنهماك المسيحي القديم في التفكير في الحياة الأبدية الخالدة، فقام هؤلاء بالتخلي عن جميع أملاكهم و عاشوا على ما يقدم لهم من الصدقات وذهب البعض منهم إلى العيش بمفردهم في الصحراء المصرية، يقول في هذا حبيب سعيد: "هناك عوامل أخرى أدت إلى ذبوع النزعة الرهبانية، ألا و هي إنسياب روح الفتور في حياة الكنيسة بعد أن إتسعت دائرتها و دخلها أناس من ذوي الميول الفاسدة، و قد رام بعض النصارى أن ينجوا بأنفسهم و يسعوا إلى خلاصها بالإعتزال عن العالم و إذلال رغبات الجسد و كانت الفكرة السائدة أنّ المادة هي أصل كل الشرور، و الجسد جزء من المادة فلا مناص إذن من قمعه و إذلاله... لذلك إعتصم أولئك الزاهدون بالفقر و التحرر من مقتنياتهم و إرتداء الثياب الخشنة و الإمتناع عن الطعام إلاّ ما يسدّ الرمق و إرهاب أبدانهم بكل صنوف المشتقات، و نذر العفة المطلقة، و قد ءامنوا في دواخل أنفسهم أنّ هذا هو الطريق الأمثل لبلوغ الكمال الإنساني، و منه يتضح لنا أنّ عدم رضا بعض المسيحيين على نشاط رجال الكنيسة دفعهم العزلة احتجاجا منهم على إنحرافها و فسادها¹.

ثانياً ← مناطق إنتشارها:

بعدما ذاعت شهرة الرهبان المصريين في سائر أنحاء العالم المسيحي أصبحت مصر بمثابة أرض مقدسة، فأدى هذا إلى وفود الكثير من مشاهير الكنيسة الشرقية و الغربية كباسيلوس الكبير وهيلاريون و أبرونيموس إلى زيارة الأديرة المصرية، كما إنتشرت الرهينة في سائر أقطار العالم بسرعة مذهلة، فتكونت أديرة في جزائر البحر الأبيض المتوسط حتى وصلت فرنسا حوالي سنة 400 م في "الرين" و التي أصبحت مركزا كبيرا خرج منه مبشرون عديدون إلى سائر أقطار العالم²، فإنتشرت في الجزء الشرقي منه أيضا في بلاد الشام و في قبرص و في بلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى فعلى

¹ - أميمة بنت أحمد الجلاهية، المرجع السابق، ص 165.

² - مارمينا، المرجع السابق، ص 35.

سبيل المثال إنتشرت في الشام في القرن الرابع للميلاد و إتخذت طابعا خاصا رغم أنّها تأثرت بالنظام الأنطوني¹.

و من خلال ما سبق ذكره من أسباب نقول أنّ لظهور الرهبانية أسباب تبعد كل البعد عن المعنى الأصلي الذي جاءت به و هو الفرار من الدين و الرغبة في تحقيق العبادة و التأمل و أيضا عن المبادئ و الأسس التي أتت بها منظومة الرهبانية و الآتي ذكرها.

المطلب الرابع: مبادئ و أسس الرهبانية

تقوم الرهينة المسيحية على مبادئ و أسس هي:

1. العفة (البتولية): في المفهوم اللغوي تعني الإمتناع عن الشهوات الجنسية و كل أنواع النشاط الجنسي، كما أنّها تقوم على محبة المسيح و هذه المحبة هي سر القدوة على البذل و التضحية بكل شهوات الجسد، و هناك من يطلق عليها البتولية و تعتبر البتولية في حياة الراهب شعلة من الحب نحو الله يستثمر بها عبادته و يتقدس بها كأثما ذبيحة يمارس بها ذبح كل ميل بطلال و كل شهوة رديئة وكل سمع أو نظر أو لمس أو قراءة دنسة و لا شك أنّ كل ذبح يرافقه ألم و وجع تنهد و ألم العتق من النجاسة أي حرية العفة هو البخور المتصاعد من ذبيحة الحب التي يقرها الراهب لله على مذبح قلبه وجسده، فطريق التولية هو القمة في طريق الملكوت، فقد خلق الله الملائكة بعقل دون شهوة و خلق الحيوان بشهوة دون عقل و خلق الإنسان بالعقل و الشهوة، فإن تغلبت الشهوة على العقل صار الإنسان حيوانا و إذا تغلب العقل على الشهوة صار ملاكا و من أجل هذا يقولون عن الرهبان الذين غلبوا شهواتهم و إنتصروا سمائيون، لذا فقد أعطى الآباء القديسيون العفة و التبتولية إهتماما بالغاً و شرحوا أبعادها و قيمتها فيقول القديس موسى الأسود: "و الذي يتهاون بعفة جسده يخجل في صلاته"².

2. الطاعة³: و هي الإصغاء الداخلي لصوت الله "الأب و المرشد" الذي يرشدهم في الرب من أجل خيرنا الروحي و خلاص نفوسنا، و الطاعة في الرهينة هي المسمار الثاني الذي يصلب به الراهب أهواءه الخاصة و إرادته الذاتية و هذا نظرا لأثما قوة التنسك و كمال الزهد لذا فبتخلي الراهب عن

¹ - أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص 87، 81.

² - الأنبا متاؤس: سمو الرهينة، (ط:2، القاهرة الحديثة للطباعة دار الكتب القاهرة، 1984 م)، ص 254، 257.

³ - المرجع نفسه، ص 270، 259.

هذه الإرادة البشرية فهو يسلمها إلى الإرادة الإلهية و التي سيقم فيها على الدوام، هكذا فهم آباء الرهينة الطاعة و هكذا مارسوها ثم سلموها لأولادهم فكان أول واجب يتعهد به الراغب في الرهينة هو الطاعة للشيوخ و عمل كل ما يشير به عليه، و تتأسس هذه الطاعة على:

1- التواضع. 2- حياة التوبة.

2- الرغبة التامة في ترك الهوى. 4- الثقة والإيمان في الأب الروحي ومحبه.

3. التجرد: و هو الفقر و التقشف و التعايش بالآلام فهو المسار الثالث الذي يصلب به الراهب نفسه على صليب النسك من أجل محبه للمسيح الذي أخلى ذاته من كل أمجادها و عاش فقيراً ثم مات على الصليب عرياناً، فالتجرد هو بترك كل ما يملك من أموال و أملاك بإرادته وحدها دون جبر من أحد، لأجل أن يدخل في حياة التأمل و الإلتصاق بالله، فهو إنتصار الروح على الجسد و إنتصار المحبة على الأنانية و يؤهل الراهب للتخليق في جو الفضيلة اللانهائي بدون موانع أو عوائق مادية¹، كما كان الراهب يقوم بقمع جسده و إذلاله لكي تنطلق الروح من قيدها الجسماني و هذا بسبب نظرهم إلى أنّ المادة هي سبب الشرور و إعتبارهم كما و سبق الذكر أنّ الجسد مادة، كما إعتمدوا في تعذيب أنفسهم بحد قولهم على نصوص من العهد الجديد قالوا إنّها نقلت إليهم المنهج الذي إعتمده عيسى عليه السلام في زهده وإحتماله للآلام².

4. الإنعزال: قالوا عن اللجوء إلى الجبال و البراري إنّه مقبس من سيرة عيسى عليه السلام، إذ كان يصعد إلى الجبال حيث يرغب في الصلاة أو يعلم الجموع، لذا قام الرهبان الأوائل ببناء أديرتهم في الجبال و البراري، و نذكر هنا أنّ الأنبا غريغوريوس أكد أنّ عيسى عليه السلام لم يعيش في عزلة بعيداً عن الناس، و علل ذلك بأنّه جاء من أجل رسالة مهمة، مشيراً إلى أنّه إعتزل قبل البدء في الخدمة فترة قصيرة لا تتجاوز أربعين يوماً³.

خلاصة: و من هنا نقول أنّ إعتقاد المسيحين فيما يخص أسس و مبادئ الرهينة من تقشف و عدم زواج و تبتل و سكن في الكهوف و الإنفراد عن الناس و التي ينسبها البعض إلى أنّها مستمد من النصوص الإنجيلية و من عيسى عليه السلام، يأخذها إلى طرح الإشكال الآتي خاصة فيما تبين لنا

¹ - الأنبا متاوس، المصدر السابق، ص 270، 271.

² - أميمة بنت أحمد الجلاهية، المرجع السابق، ص 168.

³ - المرجع نفسه، ص 168.

فيما سبق أنّ الرهينة المسيحية قد أخذت أفكارها من ديانات و أفكار أخرى؛ و هو: هل أصل التعاليم و الأسس الخاصة بالرهبانية من عند المسيح أم أنّ لها أصلا آخر؟

المطلب الخامس: أصل الرهينة المسيحية

كما و سبق الذكر فهناك إختلاف و لبس حول أصل الرهبانية المسيحية إذ ذهب فريق من المسيحيين إلى أنّ أصلها من تعاليم المسيح، و ذهب البعض الآخر إلى أنّ أصلها التعاليم الوثنية والأفكار الوضعية و التي كانت عندهم قبل و أثناء ظهورها في المسيحية، و نحن بصدد هذا سوف نطرح آراء كلا الفريقين لنستخلص الرأي الراجح الصحيح.

- **الرأي الأول:** يدعي البعض من المسيحيين أنّ أصل الرهبانية المسيحية أخذت من حياة السيد المسيح و تعاليمه، فلقد إدعوا أنّ الرهبان المسيحيين أخذوا فكرة هجر العالم و الزهد في متاعه و أطماعه من قول المسيح للشباب الغني الذي جاءه يسأله على طريق يوصله إلى الحياة الأبدية فردّ عليه قائلا: "إن أردت أن تكون كاملا فإذهب و بع أملاكك و أعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء و تعال إتبعني"¹، و أيضا قوله لأحد تلاميذه حين قال له بطرس: "ها نحن قد تركنا كل شيء و تبعناك فماذا يكون لنا"، فأجابهم قائلا: "كل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولادا أو حقولا من أجل إسمي يأخذ مائة ضعف و يرث الحياة الأبدية"²، و إدعوا أيضا أنّهم تمثلوا به في تقشفهم و إختيارهم للفقير، كما أنّ فكرة اللجوء إلى الجبال و البراري قالوا أنّها نشرت و نشأت من المسيح لأنّه كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع، و كذلك مبدأ البتولية و عدم الزواج فقد إستمدوه من عنده من خلال ما نسب إليه من الأقوال في الأناجيل بالرجوع إلى هذه الآراء رأى الباحثون أنّ فيها تجاوزاً شديداً، فالقول بأنّ المسيح كانت من تعاليمه الدعوة إلى الرهبانية فيه مغالاة شديدة خاصة و أنّ الأناجيل المسيحية تنسب إلى المسيح إلى أنه كان يحسب اللهو والمرح و المتعة والصخب و أنّه كان يستمتع بالطعام الجيد و هذا إستنادا لما قاله متى في إنجيله: "جاء ابن الإنسان-المسيح- يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكل و شرب للخمر محب للعشارين و الخطاة"³. كما أشاروا إلى أنّه يحضر الأفراح و يتطيب و يشارك الناس سعادتهم بل وفي

¹ - إنجيل متى: 19: 21.

² - إنجيل متى: 19: 27، 29.

³ - إنجيل متى: 11: 9.

بعض الأحيان يشرب الخمر حسب روايات أناجيلهم، و هذا دليل واضح على أنّ الرهبانية و تعاليمها لم تكن من تعاليم المسيح و لم يدع إليها، يقول جون لومير: "من قراءة العهد الجديد يظهر لنا أنّ الزهد لم يكن تعليماً أساسياً في المسيحية، و على العكس من يوحنا المعمد أن جاء يسوع يأكل و يشرب فقيل عنه إنه أكل و شرب خمر"، و من هنا فإنّ هذا القول فيه مجافاة للحقيقة و بعد عن الصواب¹.

- **الرأي الثاني:** و من قال أن الرهبانية المسيحية استمدت تعاليمها من مصدر آخر و هو الأديان الوضعية و الفلسفات الوثنية و الأفكار اليهودية و التي كانت تعتقد بالتنسك و الرهبانية فهو القول الراجح، يقول المؤرخ المسيحي أندروملر: " و يظهر أنّ الآباء قد فاتهم أنّ مبدأ الزهد نشأ عن الفلسفة الوثنية لا الديانة المسيحية، و لكنهم لم يتصفحوا الكتاب المقدس لمعرفة فكر الله في هذه الموضوعات"، كما يقول: "إنّ مبدأ عدم زواج الإكليرس - و هم رجال الدين- الذين تكون بعد ذلك الوقت و كل نظام التنسك و الرهينة لا يرجعان إلى كلمة الله بل إلى الفلسفة الشرقية"، كما نجد قول أحمد شلي و الذي يقول: " و الباحث في مقارنة الأديان يجد أنّ المسيحيين في تصرفاتهم هذه إتبعوا المنهاج الهندي دون تحريف، فالترهب والتبتل و تعذيب الجسد هي سياسة البوذية وغيرها"، و السبب في الأخذ بأنّ هذا هو القول الراجح هو أنّه بحكم أنّ الرهبانية المسيحية نشأت في مصر تأثرت بهذا و هذا لأنّ الإسكندرية خاصة فيها كانت مركزاً هاماً من مراكز العلم و الثقافة والفلسفة في العصور الميلادية الأولى و بسبب إنتشار التعاليم الفلسفية و المعتقدات الدينية شائعة ورائجة فيها مما سهل في إنتشارها و أخذها بين المصريين المسيحيين وغيرهم².

خلاصة: أن الرأي الراجح و المتفق عليه هو أن الرهينة المسيحية تأثرت بالأديان الهندية و المصرية القديمة و الفارسية و بعض الفلسفات اليونانية و لذا فإنّ تعاليم الرهبانية المسيحية جاءت وليدة هذا التأثير.

¹ - أحمد علي عجيبية، المرجع السابق، ص 104، 112.

² - المرجع نفسه، ص 104، 112.

المطلب السادس: أهم مؤسسو الرهبانية المسيحية

يرجع تأسيس الرهبانية المسيحية إلى الآباء: أنطونيوس و الأنبا بولا و باخوديوس و مقاريوس المصري.

أ- أنطونيوس¹: يعتبر الراهب أنطونيوس أبا الرهبان المتوحدين و أشهر الرهبان الأولين و المؤسس الحقيقي لحركة الرهينة المسيحية و التي أبصرت طريقها في مصر، و لقد عرف تاريخ حياته عن طريق ما كتبه عنه إثناسيوس الإسكندري (296 - 373 م) الذي كتب قصة حياته بالرغم من تشكيك البعض في صحة ما كتبه عنه. ولد أنطونيوس في منتصف القرن الثالث حوالي (250 أو 251م) في بلدة قمن العروس، بمركز الواسطى بإقليم بني سويف من والدين ثريين، و عندما بلغ العشرين من عمره توفي والده تاركا له ثروة كبيرة و أختا صغيرة قام هو على تربيتها و العناية بشؤونها، إلا أنه بدأ بتوجه إلى حياة التمسك بعدما سمع كلام كاهن يعظ الناس في الكنيسة يردد ما جاء في إنجيل متى: "إذا أردت أن تكون كاملا فإذهب و بع كل أملاكك و أعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء و تعال إتبعني"²، فتأثر بهذا الكلام فقام ببيع أملاكه و ترك فقط ما يكفي لسد حاجة أخته، و وزع قيمتها على الفقراء، و بعد أن عهد بأخته إلى بيت للعداري، ذهب و عاش مع رجل عجوز يحيا حياة الزهد، فهذا الأخير أرشده و وجهه إلى خطواته الأولى في حياة الرهينة و من ثم أقام في كوخ صغير إلى جوار شاطئ النيل، و من بعدها إنتقل إلى الصحراء و سكن في قبر مهجور و إنقطع عن العالم و كان طعامه الخبز و الملح و الماء و لكنه لم يطل البقاء فيه فرحل إلى العمق الشرقي للصحراء فسكن في حصن روماني مهجور، و مكث فيه عشرين عاما يتقوت على الخبز الذي يأتي به أصحابه و على الماء الموجود في بئر الحصن و في عام 305 م، قام بتكوين جماعة من المتوحدين - السابق التعريف بهم - و التي عرفت باسمه، فكانوا يجتمعون يوم الأحد لسماع تعاليم معلمهم أنطونيوس فكان هو كما قلنا أول منشئ للرهبانية الإنفرادية الخاصة بالتعبد في صوامع تحت حيز واحد، فذاع صيته و شهرته في هذه الأثناء، و هذا ما أدى به إلى البحث عن مكان جديد لبيتعد فيه عن الناس فقام بالتوجه نحو الشرق مع جماعة من البدو حتى وصل إلى القلزم و هو المعروف حاليا بجبل الجلالة المشرف على خليج السويس، حيث قضى بقية حياته في مغارة من الجبل وسمح لتلاميذه أن يكونوا

¹ - أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص 95، 98.

² - إنجيل متى: 19: 21.

قريبين منه، توفي أنطونيوس حوالي عام 356 م و قد تجاوز عمره المئة عام، حيث دفنه تلاميذه في مكان غير معروف، كما قد دونوا له بعض الرسائل و التي إعتزت بها الكنيسة و الأديرة المسيحية.

ب- الأنا بولا (بولس الطيبي): من أشهر الرهبان الذين عاصروا العهد الأول و قد ولد في طيبة في أوائل القرن الثالث سنة 230 م و يقال سنة 234 م¹، و يروي قصة تنسكه جيروم اللاتيني فيقول "ورث بولس الطيبي بعد وفاة والده في صباه ثروة طائلة ولكن صهره حسده عليها فلما خاف بولس أن يشي به صهره لدى السلطات بأنه مسيحي، هرب إلى الصحراء، وجاء إلى كهف يؤدي إلى فضاء خلفي و وجد هناك طعاما و شرابا، فعرف أن الله قاده إلى هناك فعزم على البقاء و ظل في الصحراء إلى أن مات و عمره 113 سنة، و بعد ذلك إرتبطت قصة بولس الطيبي بقصة أنطونيوس فبعد أن قضى هذا الأخير مدة طويلة كراهب ظانا نفسه أنه هو أول الرهبان، جاءه إعلان بأن هناك من سبقه إلى هذا العمل، فبدأ بالبحث عنه و بعد أن وجده رفض بولس لقاءه إلا بعد أن شهدته من إلحاح و رجاء أنطونيوس فقابله بولس و إستقبله، و يقال بينما هما يتحدثان نزل عليهما غراب يحمل رغيفا من الخبز فقال بولس: " ها هو الله أرسل لنا غذائنا، الله الرحيم الشفوق " فقد مكنت هنا ستين سنة و أنا أكل نصف رغيف يوميا و لكن بمجيتك ضاعف المسيح الطعام، و عندما إنتهيا من تناول الطعام إستأذن بولس أنطونيوس إلا أن لب له طلبه و لكنه لم يكن يعلم أن بولس طلب منه هذا لإدراكه أن ساعته قد إقتربت فأراد أن يجنبه مرارة ذلك، و عند عودة أنطونيوس وجده قد فارق الحياة فلف أنطونيوس جسده بالرداء و حمله لدفنه و لكنه تحير في أمر حفر القبر، فجأة جاءه أسدان يجريان من الصحراء و إنحنيا أمام الجسد فحفرا قبرا بمخالبهما ثم ذهبا، فدفن أنطونيوس بولس و رجع إلى الدير بعد أن أخذ معه الرداء الذي كان يلبسه بولس دائما و المصنوع من ألياف النخيل²، وهناك دير باسمه في ذات الموقع الذي عاش فيه بجبل القرم و فيه رهبان إلى اليوم، إذن فإنّ الفضل في إكتشاف بولس الطيبي قد عاد إلى أنطونيوس و إلا بقي مجهولا أمره.

ج- باخوميوس: ولد باخوميوس في 287 م لأبوين وثنيين، و عنده جند في الجيش الروماني تأثر بشدة بمسيحي طيبة و تعمد في شينوبوسيكون بالقرب من نجع حمادي الحالية و عزم أن يحيا حياة الزهد و كان يلامون معلّمه يعلمه الصيام و الصلاة و الطاعة، و لكي يوجد التوازن في حياتهم بدأ

¹ - أحمد علي عجيبة، المرجع السابق، ص 94.

² - جون لومير: تاريخ الكنيسة، ج2، (د.ط، دار الثقافة القاهرة، د.ت)، ص 136، 138.

الرهبان ينسجون قماش " الخبش " لبيعه و يكسبوا قوتهم و إحدى الأيام بينما كان باخوميوس يصلي في طيبانيزي سمع صوتا يقول: " أمكث هنا و ابن ديرا لأنّ كثيرين سيجمعون حولك ليصبحوا رهبانا" و لما مات معلمه " بلامون" جاء إلى باخوميوس الكثيرون يشاركوه أسلوب حياته و لذا إعتبر باخوميوس أول من أسس نظام الرهبان المشترك و هو نظام خاص بجماعة من الرهبان يعيشون كل في صومعته تحت سور واحد، فكان هو أول من بنى ديرا للرهبان في مصر في تابنيسي شمال فاو الحالية بمحافظة قنا، حيث أقامه مع معلمه الراحل بلامون- و كان ذلك حوالي 230 م - فحرص على أن يدرّب الرهبان على الحياة المشتركة حياة الديرية، و هي التي تقوم على المشاركة في المسكن والأكل و الملابس و العمل و الصلاة داخل مبنى الدير، فإزدهرت الحركة على يده، فأنشأ تسعة أديرة للرجال و واحد للنساء. و لا يوجد أي دير من أديرته اليوم عامرا بالرهبان إلا أدير المحرق الذي قيل أنّه عامر، يقول زكي شنودة: " و بذلك يكون باخوميوس هو مؤسس الحياة الديرية و واضح نظام الحياة المشتركة للرهبان و لذلك يسمونه "أبو الشركة"¹. و هذا ما يسمّى بالنظام الباخومي حيث عرف باخوميوس أنّ قيما جديدة يمكن أن تظهر في حياة الرهينة إذا اجتمع الرهبان في شركة، تحكم حياتهم فيها بعض القوانين²، توفيّ باخوميوس في أواسط القرن الرابع الميلادي وبالتحديد في عام 346 م .

د- مقاريوس المصري: و يلقب بـ " أبو مقار الكبير"، ولد في أوائل القرن الرابع في عام 301 م ببلدة جحوير، و قيل ولد بالصعيد من أبوين مسيحيين فقيرين، و حين بلغ شبابه زوجه أبوه إلا أنّ زوجته ما لبثت أن ماتت، و بعد موت والده ترك العالم و انفرد في كوخ وحده للتعبّد و كان قد بلغ الثلاثين من عمره، و لقد كان أعظم راهب متوحد بعد أنطونيوس³، بعد أن قصده و تتلمذ على يديه مدة من الزمن، و بعد ذلك إتجه إلى وادي النطرون حيث أقام هناك و إلتف حوله عدد من الرهبان المسيحيين، و لهذا بنى لهم ديرا عرف بدير مكسيموس و دمايوس و لقد عرف أيضا بدير البراموس، ثم دير أبي مقار، توفيّ مقاريوس في أواخر القرن الرابع الميلادي و كان قد جاوز التسعين من عمره⁴.

¹ - أحمد علي عجبية، المرجع السابق، ص 100.

² - جون لومبر، المرجع السابق، ص 148، 149.

³ - المرجع نفسه، ص 142.

⁴ - أحمد علي عجبية، المرجع السابق، ص 101.

ملخص المبحث:

بعدهما تطرقنا في المبحث الثاني إلى الرهبنة و كل ما يتعلق بها خلصنا إلى أن المعنى اللغوي والإصطلاحي لهذه الكلمة يصبان في نفس القالب و يحملان نفس المفهوم و قد كان هذا المصطلح "الرهبنة" متفشي في العديد من الديانات و الأفكار الفلسفية كما سبق و بينّا ذلك في المطلب الثاني ومن ثم عرجنا إلى بيان كيفية وصول هذه الأفكار و المبادئ المتعلقة بالرهبنة إلى الديانة المسيحية و قد كان الإضطهاد السياسي و الإقتصادي و فساد نظام الكنيسة سببا في ظهورها و إنتشارها. و قد نشأت الرهبنة في مصر عند المسيحيين المصريين و كان أول ظهور لها على يد الأنبا أنطونيوس كما ارتبطت الرهبنة بالديرية (الأديرة) و التي ساهمت بشكل كبير في تطورها و إنتشارها في أوساط العالم المسيحي خاصة و العالم عامة، و لقد اختلف في أصل الرهبنة الذي إستمدت منه الرهبنة تعاليمها و أسسها. التي نشأت عليها و تبنتها، و نتج عن هذا الصراع تعدد للآراء فمنهم، من قال: أنها مأخوذة من تعاليم المسيح - عليه السلام - و منهم من قال: أنها من ديانات و فلسفات قديمة وحديثة، إلا أن الرأي الراجح الذي خلصنا له في دراستنا هذه و الذي إتفق عليه مؤرخو المسيحية أن أصل هذه التعاليم مستمد من الديانات و الفلسفات القديمة و الحديثة و هذا بإعتبار أن مصر المولّد الأول للرهبنة، كانت مهذا جامعا للعديد من حضارات الديانات و الأفكار الفلسفية عبر تاريخها.

الخاتمة

الختاتمة

الختاتمة

بعد دراستنا و تطرقنا إلى محتوى كل من التصوف الإسلامي و الرهبنة، و بيان نشأت و تطور كل منهما و أهم النقاط التي جاء بها، نأتي الآن إلى بيان أهم أوجه الاختلاف و أهم أوجه الاتفاق التي جمعت بينهما ثم نتبع ذلك بأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة:

أولاً ← المقارنة بين التصوف و الرهبنة:

1- أوجه الاختلاف:

تتمثل أوجه الاختلاف فيما يلي:

أ- إختلاف العلماء المسلمون و غيرهم حول الأصل الذي أُستمد منه كلمة التصوف، بينما الرهبنة لم يختلف في أصلها فهي على الدوام مرتبطة بالمسيحية.

ب- إختلف العلماء و المؤرخون المسلمون و غيرهم حول أصل منشأ و مصدر التصوف، بينما إختلف في الرهبنة حول أصل التعاليم و الأسس التي جاءت بها.

ج- للتصوف الإسلامي مدارس و طرق خاصة به ساهمت في إنتشاره في العالم الإسلامي خاصة و في العالم العربي و غيره بصفة عامة، أما الرهبنة فقد مرت بمراحل (التوحد- الأنطونية - الشركة الرهبانية "الرهبانية و الديرية") و هذه المراحل هي التي ساهمت في ظهور ما يسمى ب: "الدير" و الذي بسببه كسبت الرهبنة شهرة و إنتشرت في كافة أرجاء العالم المسيحي خاصة و العالم بصفة عامة.

د- تعرض التصوف الإسلامي إلى دراسات من قبل مدارس غربية و مستشرقين أجنب حيث دَرَسَه كل على أساس رغبته و هدفه، بخلاف الرهبنة التي قام بدراستها مؤرخون مسيحيون و غيرهم بهدف دراسة تاريخها و تحديد منشأها فقط.

الختمة

2- أوجه الاتفاق:

تتمثل أوجه الاتفاق بينهما فيما يلي :

أ- إن كل من التصوف الإسلامي و الرهينة في إصطلاحهما متعلقان بالزهد و التمسك و التقيد و الطابع الأكثر شهرة بينهما هو الغلو في هذه العبادة، و هذا لأجل وصولهما إلى الحقيقة و الرغبة الإلهية.

ب- إستمد كل من التصوف الإسلامي و الرهينة بعض أفكارهما من مصادر متعددة، و المتمثلة في أفكار و فلسفات لديانات أخرى منها: الديانات الهندية و الفلسفات اليونانية الذين أخذوا منهم فكرة تعذيب النفس و تجريدها من عالم الجسد المرتبط بعالم المادة .

ج- يشترك كل من التصوف الإسلامي و الرهينة في بعض من العقائد و الأسس و هي: الطاعة الزهد، التجرد (الفقر)، الإنعزال (الخلوة) و التي تعتبر من أهم ما يسير عليه المنتسبين لها.

د- لدى كل من التصوف الإسلامي و الرهينة شخصيات ساهمت في تطورها و إنتشارها في العالم.

هـ- تعرض كل من التصوف الإسلامي و الرهينة إلى دراسات نقدية عديدة سواء من قبل العلماء المسلمون أو من قبل المؤرخين المسيحيين و غيرهم .

من خلال هذه الدراسة المقارنة يتبين لنا أن العلاقة بين التصوف الإسلامي و الرهينة متقاربة جدا خاصة من حيث الأفكار و المعتقدات التي تبنتها كل منهما إلا أن هذه العلاقة لا تخلوا من وجود أمور مختلفة بينهما .

ثانياً ← النتائج:

بعد الإنتهاء من مباحث هذه الدراسة و مطالبتها و الغوض في أغورها خالصنا إلى بعض النتائج و التي نجملها فيما يلي:

- أن القارئ و المتطلع لدراستنا هذه قد يجد فيها شيئا من الغموض و التداخل فنقول أن هذا جاء نتيجة لغموض كل من التصوف الإسلامي و الرهينة في بعض مفاهيمها و مصطلحاتها.

الختاتمة

- أن النشأة التي نشأ عن طريقها التصوف الإسلامي مختلفة عن غيره من المذاهب فقد كانت نتيجة للعديد من المصادر المختلفة.
 - أن إختلاف العلماء في الأصل الذي أشتق منه التصوف متوافق مع جاء في تعريفاته اللغوية.
 - أن المعنى اللغوي و المعنى الإصطلاحي للرهينة لهما نفس المغزى و هو " التعبد " .
 - إن ما تعرض له التصوف الإسلامي من تحريف في بعض مبادئه جعله عرضة للإنتقادات و إتحاذ العلماء المسلمون لمواقف منه، كذلك الرهينة تعرضت لبعض الهجومات من قبل البعض من الكنائس و هذا لأن مبائها و أسسها تنافي ما تأمر به .
- و أخيرا هذا ما وقفنا الله لجمعه من شتات دراستنا هذه فما كان فيها من الصواب فهو من توفيق الله لنا و ما كان فيها من سهو أو نقصان فهو منا و من الشيطان، و آخر دعوانا أن الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و الشكر له على توفيقه بأن سهل علينا جميع العقبات.

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الكتاب المقدس

فهرس المحتويات

فهرس المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم برواية حفص

❖ الكتاب المقدس

- 1- الأزهرى أبو منصور مُجَّد: تهذيب اللغة، تحق: أحمد عبد العليم البردوني، ج12، (د.ط الدار المصرية، د.م، د.ت).
- 2- بن إسماعيل بن أحمد فلاح: العلاقة بين التشيع و التصوف، (رسالة دكتوراه، غير منشورة قسم الدراسات العليا شعبة العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة المملكة العربية السعودية 1411هـ).
- 3- إلهي ظهير إحسان: التصوف المنشأ و المصادر، (ط:1، إدارة ترجمان السنّة لاهور باكستان 1406 هـ - 1987 م).
- 4- الأنبا متاؤس: سمو الرهينة، (ط:2، القاهرة الحديثة للطباعة دار الكتب القاهرة، 1984 م).
- 5- بدير عون فيصل: التصوف الإسلامي الطريق الرجال، (د.ط، مكتبة سعيد رأفت جامعة عين الشمس، د.م، 1983 م).
- 6- بنت أحمد الجلاهية أميمة: الرهينة النصرانية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، (د.ط، دن، د.م د.ت).
- 7- تراسون أبو الخير: التصوف في القرنين الثاني و الثالث الهجريين و موقف الفقهاء الأربعة منه، رسالة دكتوراه، غير منشورة، قسم العقيدة، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1423 - 2002 م).
- 8- التفتازاني أبو الوفاء الغنيمي: مدخل إلى التصوف الإسلامي، (ط:3، دار الثقافة القاهرة 1399 هـ - 1979 م).
- 9- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي: تلبيس إبليس، (د.ط، دار القلم بيروت - لبنان 1403 هـ).
- 10- حبيب رؤوف: تاريخ الرهينة و الديرية في مصر وآثرهما الإنسانية على العالم، (د.ط، مكتبة المحبة، د.م، د.ت).

فهرس المصادر والمراجع

- 11- أبو الحسين مُجَّد ابن فارس: مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام مُجَّد هارون، ج3، (د.ط، دار الفكر، دم، 1399 هـ - 1979 م).
- 12- ابن حنبل أحمد: مسند أحمد، باب: مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 10936 .
- 13- دجين السَّهلي عبد الله: الطرق الصوفية نشأتها و عقائدها و آثرها، (ط: 1 ، دار كنوز اشبيليا الرياض، 1426هـ- 2005 م).
- 14- بن دريد أبو بكر مُجَّد: جمهرة اللغة، تحق: رمزي منير بلعبكي، ج 1، (ط:1، دار العلم للملايين بيروت - لبنان 1987م).
- 15- سامي النشار علي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج3 (ط: 8، دار المعارف القاهرة د.ت).
- 16- السلمي أبو عبد الرحمان: الطبقات الصوفية، تحق: أحمد الشرباصي،(ط:2، كتاب الشعب، 1419 هـ - 1998م).
- 17- شلي أحمد: المسيحية- مقارنة الأديان2-، (ط:10، مكتبة النهضة المصرية القاهرة 1998 م)
- 18- طبانة بدوي: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي " مع مقدمة في التصوف الإسلامي و دراسة تحليلية لشخصية الغزالي و فلسفة في الإحياء "، ج1، (د.ط، كرابطة فوترا سماراغ إندونيسيا د.ت).
- 19- الطوسي أبو النصر السَّراج: اللمع في التصوف، تحق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، (د.ط، دار الكتب الحديثة بمصر و مكتبة المثنى ببغداد ، 1380 هـ - 1960 م).
- 20- عبد الغني قاسم عبد الحكيم: المذاهب الصوفية و مدارسها، (ط: 2، مكتبة مديولي القاهرة، 1999 م).
- 21- عبده مُجَّد و عبد الحليم طارق: الصوفية نشأتها وتطورها، (د.ط، مكتبة الكوثر الرياض د.ت).
- 22- العجم رفيق: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، (ط:1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت- لبنان ، 1999م).

فهرس المصادر والمراجع

- 23- عزت الطنطاوي مُجَّد: الميزان في مقارنة الاديان، (ط:1، دار القلم دمشق و الدار الشامية بيروت، 1413 هـ - 1993 م).
- 24- عطية أبو طالب المكِّي مُجَّد: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحق: محمود إبراهيم مُجَّد الرضواني، ج3، (ط:1، مكتبة دار التراث القاهرة، 1422 هـ - 2001 م).
- 25- علي عجيبة أحمد: الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، (ط:1، دار الآفاق العربية القاهرة، 2004 م).
- 26- الفراهيدي أبو عبد الرحمان الخليل: كتاب العين، تحق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ج7، (د.ط، مكتبة ودار الهلالي، د.م، د.ت).
- 27- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : لسان العرب، ج1، (د.ط، دار صادر بيروت، د.ت).
- 28- الفيروزآبادي مجد الدين مُجَّد: القاموس المحيط، تحق: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة (ط:8، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م).
- 29- القشيري أبو القاسم: الرسالة القشيرية، تحق: عبد الحليم محمود و محمود بن شريف، (د.ط دار الشعب القاهرة ، 1409 هـ - 1989 م).
- 30- الكلاباذي أبو بكر مُجَّد: التعرف لمذهب أهل التصوف، (ط: 2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1415 هـ - 1994 م).
- 31- لويمر جون: تاريخ الكنيسة، ج2، (د.ط، دار الثقافة القاهرة، د.ت).
- 32- مارمينا: الرهينة القبطية، (ط:2، مركز الدلتا للطباعة الإسكندرية، 2001 م).
- 33- ماسينون و عبد الرزاق مصطفى: التصوف، (ط:1، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة بيروت - لبنان، 1984 م).
- 34- نيسابوري فريد الدين عطار: تذكرة الأولياء، مصحح: أحمد آرام، (د.ط، دن، د.م. د.ت).

فهرس المصادر والمراجع

- 35- نيكلسون ر.أ: الصوفية في الإسلام، تر: نور الدين شرييه، (ط:2، مكتبة الخانجي القاهرة1422 هـ - 2002 م).
- 36- الهجويري: كشف المحجوب، تر: إسعاد عبد الهادي قنديل، (د.ط، مكتبة الإسكندرية 1394 هـ - 1974م).
- 37- وليّ الدين عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحق: عبد الله مُجّد درويش، ج2 (ط:1، دار البلخي و مكتبة الهداية دمشق، 1425 هـ - 2004 م).

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	إسم السورة	شطر الآية
22	14	إبراهيم	قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي.....﴾
26	172	البقرة	قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ.....﴾
46	273	البقرة	قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾
396	5	العنكبوت	قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ.....﴾
306	25	مريم	قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّخْلَةِ.....﴾
353	31	النور	قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا...﴾

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الكتاب المقدس

العدد	الإصحاح	الإنجيل	الفقرة
21	19	متى	"إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَاعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَ تَعَالَ اتَّبِعْنِي"
29-27	19	متى	"هَذَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا" "وَ كُلُّ مَنْ تَرَكَ بِيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمَّ أَوْ امْرَأَةً أَوْ أَوْلَادًا أَوْ حُقُولًا مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِثْلَ مِئَةِ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ"
9	19	متى	"جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ - الْمَسِيحِ - يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَيَقُولُونَ هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَ شَرِيبٌ لِلْخَمْرِ مُحِبٌّ لِلْعَشَارِينَ وَالْحُطَاةَ"

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
\	الإهداء
\	شكر و عرفان
\	ملخص الدراسة
ب - و	المقدمة
المبحث الأول: التّصوّف الإسلامي	
8	المطلب الأول: أصل كلمة التصوف و بدء ظهوره كمصطلح
8	الفرع الأول: أصل كلمة التصوف
14	الفرع الثاني : بدء ظهوره كمصطلح
15	المطلب الثاني : تعريف التّصوف
15	الفرع الأول : التعريف اللغوي
17	الفرع الثاني : التعريف الإصطلاحي
19	المطلب الثالث: نشأة التصوف الإسلامي
23	المطلب الرابع: أهم المعتقدات والشخصيات الصوفية
23	الفرع الأول : أهم المعتقدات و المبادئ
31	الفرع الثاني: أهم الشخصيات الصوفية
35	المطلب الخامس: المدارس و الطرق الصوفية
35	الفرع الاول: المدارس الصوفية
39	الفرع الثاني: أهم الطرق الصوفية

فهرس المحتويات

42	المطلب السادس: آثار التصوف الإسلامي و موقف بعض العلماء من التصوف و مدارس البحث فيه
42	الفرع الأول: أثر التصوف على الفكر الإسلامي
43	الفرع الثاني : موقف بعض العلماء في التصوف
44	الفرع الثالث : المدارس الباحثة في التصوف الاسلامي
46	ملخص المبحث
المبحث الثاني : الرهينة	
48	المطلب الأول: تعريف الرهينة
48	الفرع الأول:التعريف اللغوي
49	الفرع الثاني : التعريف الاصطلاحي
50	المطلب الثاني: مصادر الرهينة قبل ظهورها في المسيحية
52	المطلب الثالث: الرهبانية المسيحية نشأتها و تطورها و أسباب ظهورها و إنتشارها
52	الفرع الأول: نشأتها وتطورها
54	الفرع الثاني: أسباب ظهورها و إنتشارها
57	المطلب الرابع: مبادئ و أسس الرهبانية
59	المطلب الخامس: أصل الرهينة المسيحية
61	المطلب السادس: أهم مؤسسو الرهبانية المسيحية
64	ملخص المبحث
66	الخاتمة
70	فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات

74	فهرس الآيات القرآنية
75	فهرس الكتاب المقدس
76	فهرس المحتويات